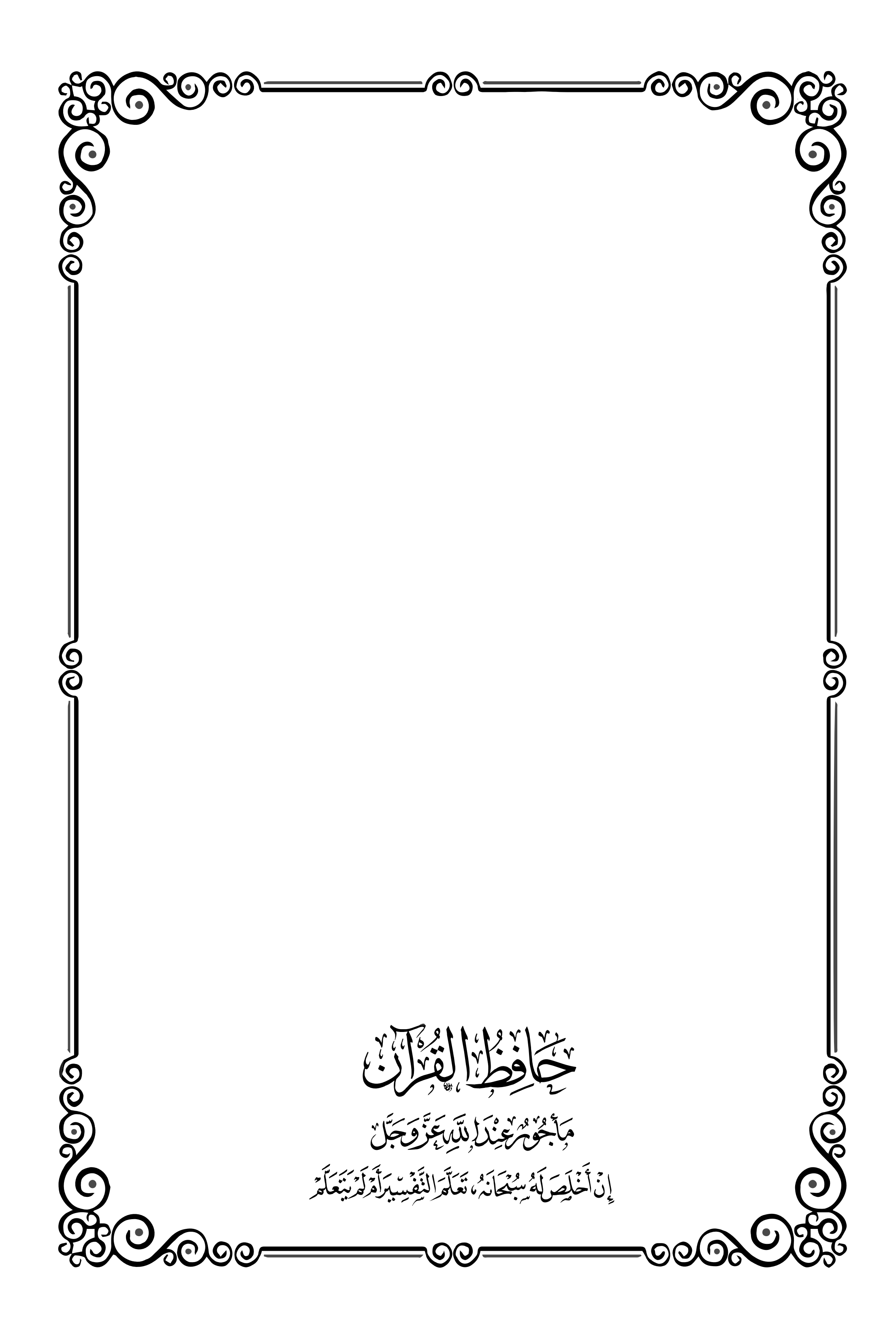
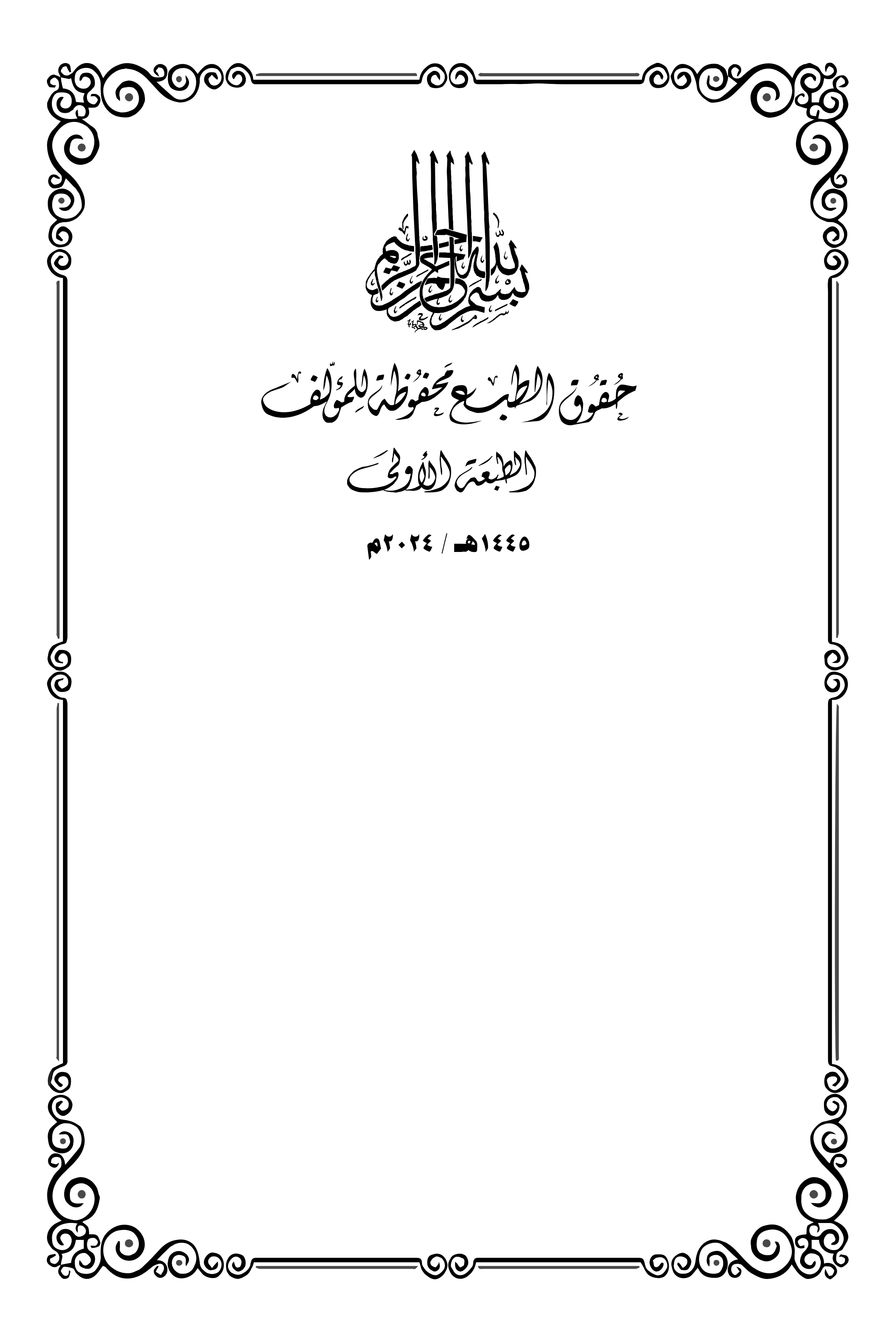
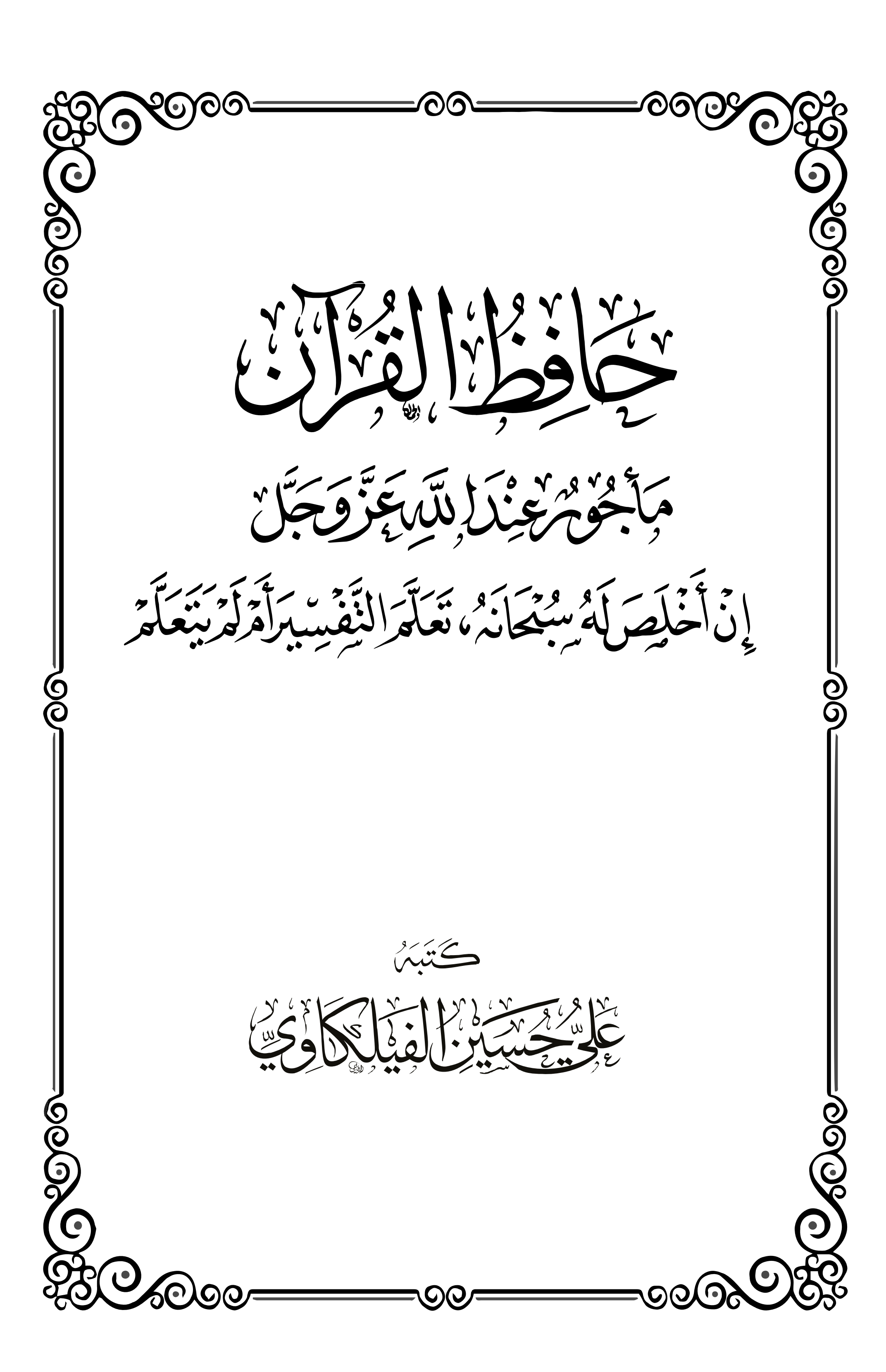

حافظ القرآن
مأجور عند الله عز وجل
إن أخلص له سبحانه، تعلم التفسير أم لم يتعلم



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م



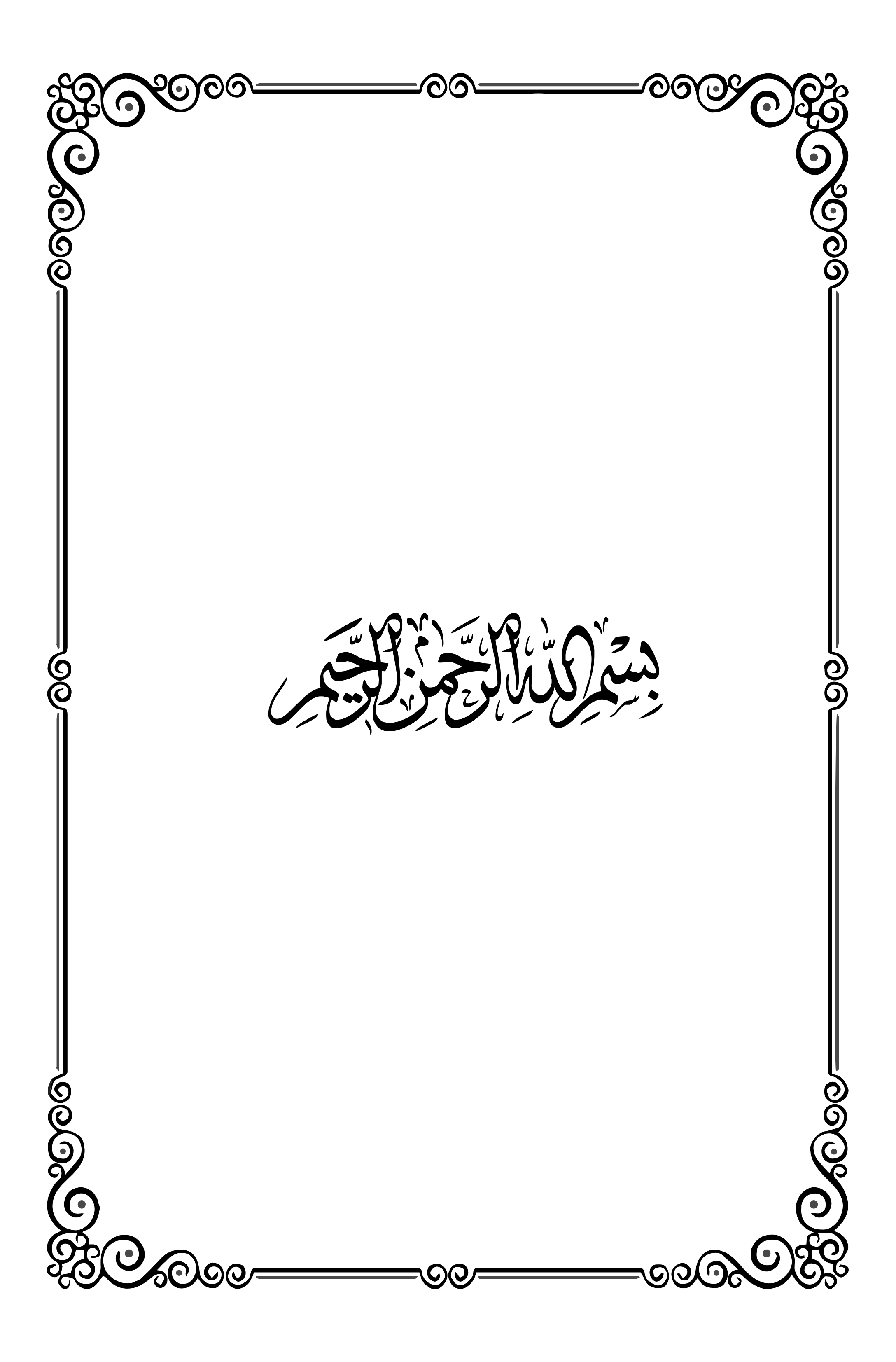
حافظ القرآن

مأجور عند الله عزّ وجلّ

إن أخلص له سبحانه، تعلّم التفسير أم لم يتعلّم

كتبه

علي حسين الفيلكاوي


بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون احذروا هذه العبارات الباطلة المسمومة
وإياكم إياكم والاغترار بأصحابها
فإنهم أهل شر وفتن
أعاذنا الله وإياكم من الشرور والفتن

فقد خرج علينا من يتبنى الضلال ويقرره في أوساط السلفيين

ومن هذا الضلال قولهم: «قراءة القرآن الكريم أو حفظه على طريقة أبي عبد الرحمن السلمي من أصول السنة التي ينعقد عليها الولاء والبراء»

حتى قال قائلهم: «إن قال قائل: تريد منَّا أن نفهم القرآن كله على الفهم الصحيح، بعدين نحفظه؟.

الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ...»

«من قرأ القرآن الكريم أو حفظه على خلاف ما جاء في أثر أبي عبد الرحمن السلمي فهو مخالف لهدي الصحابة وخارج عن جماعتهم»

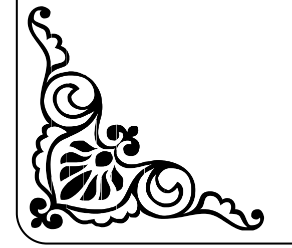
«تضليل من يقرأ القرآن الكريم أو يحفظه دون أن يجمع مع قراءته أو حفظه له تعلم التفسير»

«التزهيد في حفظ القرآن سواء للكبار أو الصغار»

«التحسر على حفظه وعلى تحفيظه الصغار»



وغيرها كثير



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن لحفظ القرآن في السنة النبوية، وفي هَديِ سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وفَهمِهِم، سبيلين؛ أحدهما أكمل وأتم من الآخر، لا شك في ذلك ولا ريب، ولكن لا يخلو أحدهما من خير، ومن فضل، وأجر.

* **السبيل الأولى**: أن يتعلم القرآن والعلم جميعًا، فيحفظ من القرآن ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحفظه، ويتعلم معه التفسير، وما في هذه الآيات التي حفظها من

أحكام، فيجمع بين الحفظ والفهم، وهذه أكمل وأتم وأنفع للعبد.

وذلك يعني أن قراءة القرآن أو حفظه سابقٌ لفهمه وتعلم تفسيره، فمعرفة الألفاظ تأتي أولاً، ثم يتبعها الفهم، وتعلم التفسير، وليس العكس، وإلا فكيف تأمر العباد بأن يفهموا ما لم يقفوا علىٰ ألفاظه، وما لم يعرفوا ألفاظه؟!!.

ففهم كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتعلم تفسيره تابعٌ للحفظ، أو القراءة، وليس الحفظ أو القراءة تابعَين للفهم(١).

---

(١) كما تقرر «مجموعة النهج - غير - الواضح»!!، وهذا واضحٌ في قول قائلهم:

«حوار افتراضي: إن قال قائل: تريد منَّا أن نفهم القرآن كله علىٰ الفهم الصحيح بعدين نحفظه؟.

الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وقد قال السلمي عن الصحابة: «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا [أي الصحابة] أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا».

فإن قال قائل: يا أخي مع الحفظ يأتي الإيمان، هذا ما نقوله ونكتبه.

الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة [أي دون البلوغ]، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا»اهـ.

وقول الآخر: «أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن، وهنا وقفة، كيف ولِمَ لا تحفظ كثيرًا؛ ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن، نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم؛ وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل، وخير الهدي هدي نبينا وأصحابه»اهـ.

وقول الثالث: «... ابن عمر وبإسناد صحيح حفظ البقرة بأربع سنين، «وأنا حفظتها بأربع أيام»؛ هكذا كانوا يُعلموننا «للأسف»، احفظ ثم بعدها تتعلم، فبالأول نجمع المتون وأولها القرآن ...»اهـ بتعديل بعض ما نطق به بالعامية.

فهل يحتاج العاقل المنصف أكثر من هذا ليفهم مرادهم، وأن أصول السنة عندهم أنْ لا يحفظ المسلم شيئًا =

فيبدأ العبد المسلم بحفظ الآيات، ثم يتعلم ما فيها، ولا يجاوزها إلىٰ غيرها، حتىٰ يتعلم ويعمل، فيجمع بين الحفظ والفهم والعمل، هكذا جاء في الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي قد أُرِيد به أن يتعلم العبد ما يحتاج إليه من أمور دينه، لكي يعبد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، لا أن يتعلم تفسير كل لفظة من ألفاظ القرآن، ولا أن يقف عند كل لفظة من ألفاظ ما يحفظ من آيات القرآن؛ لا يجاوزها حتىٰ يتعلم تفسيرها؛ وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم، كما هو زعم هذه «المجموعة»!!.

فليفهم هذا من جعل الفهم والوقوف عند كل آية ليتعلم تفسيرها أصلاً في حفظ القرآن، وفي قراءته، وخَطَّأَ من خالف طريقة أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وجعله مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم!!.

* **السبيل الثانية**: أن يتعلم القرآن فيحفظه، أو يحفظ ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحفظه منه؛ ثم هو في تعلم تفسير ما يحفظ من الآيات، ومعرفة ما فيها من أحكام؛ له حالتان: إما أن يتعلم منها ما يحتاج إليه، وما لابد له منه؛ من فروض

=

من القرآن إلا مقرونًا بتعلم التفسير، ورحم الله المتنبي إذ يقول:

وليس يصح في الأفهام شيءٌ ... إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

ولست أدري حقيقةً كيف سيُصلي من هو ممنوعٌ من حفظ فاتحة الكتاب مادام مُعرضًا عن تعلم التفسير وغير راغبٍ فيه؟!!.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكفي المسلمين شر هذه الدعوة، وهذا التأصيل الباطل، وشر هذا الفهم المنحرف؛ الخارج عن هدي السلف!!.

(١) وهذا علىٰ ما فَهِمَه هو منه؛ من أنه يريد الجمع بين حفظ القرآن وبين الوقوف عند كل آية منه؛ لتعلم تفسيرها وإلا فلا!!.

عينية وواجبات، تجب علىٰ حافظ القرآن وغيره، فليست هي خاصة في حافظ القرآن أو قارئه وحده دون غيره، وإنما يحتاجها هو وغيره ليُصحِّح بها عمله وعبادته، وإما أن يحفظ القرآن ثم يترك تفسيره كله، فلا يتعلم منه شيئًا يُصحح به عمله وعبادته؛ وذلك إما لعجز، أو كسل، أو غير ذلك.

وهذا الأخير إن أَثِم؛ فعلىٰ تقصيره في العبادة، وإخلاله فيها، إذ عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ جهل، وعلىٰ غير بصيرة، وكان الواجب عليه أن يسأل أهل الذكر - مادام جاهلاً - وأن يتعلم منهم ما يجعله يعبد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، وقد أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فهو أمرٌ لازمٌ عليه، به يرفع الجهل عن نفسه، وبه يُصحِّح عبادته، وبه يرتفع عنه الإثم والحرج، ويكون قد عَبدَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، إذ جمع بين الحفظ وبين العبادة الصحيحة التي تعبَّد فيها لله عَزَّوَجَلَّ بعد أن سأل أهل الذكر عما هو جاهلٌ به من أحكام، التزامًا منه بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به.

فتقصيره في العبادة إذًا، وإخلاله فيها، بسبب جهله وعدم رجوعه لأهل الذكر؛ هو الذي أوقعه في الإثم ابتداءً، وليس الإثم ولا المخالفة في حفظه القرآن علىٰ خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا في قراءته القرآن دون أن يقف عند كل آية منه ليتعلم تفسيرها، كما يزعم أصحاب القول الجديد المُحدَث، الذين جعلوا حفظ القرآن أو قراءته دون الوقوف عند كل آية منه وتعلم تفسيرها مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم!![1].

(١) وهذا علىٰ ما فهموه هم من أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من أنه يريد الجمع بين حفظ القرآن وبين الوقوف عند كل آية منه؛ لتعلم تفسيرها وإلا فلا - وإلا فهو بريء من هذا المذهب براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

بل هو في حفظه لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ مأجور، وله من الفضل في الآخرة مما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ لحفظة القرآن، إن هو أخلص في حفظه لله، لا شك في ذلك ولا ريب.

فهذان سبيلان لحفظ القرآن، فمن شكَّك المسلمين بأحد هذين السبيلين، وجعل الكمال والتمام في الحفظ لازمًا، فوصف مَن يحفظ القرآن دون أن يجمع بين الحفظ والتفسير بمخالفة هدي الصحابة والسلف، فهو المخالف لهدي النبي ﷺ، ولهدي سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وهو الخارج عن سبيلهم.

وفي قوله هذا تزهيدٌ للمسلمين في حفظ القرآن، وصرفٌ لهم عنه، أراد ذلك أم لم يُرِده.

❋ وبيان ذلك من عدة أوجه:

- **الوجه الأول**: أن النبي ﷺ قد حث علىٰ حفظ القرآن في أحاديث كثيرة، وبيَّن أن حفظه في الصدور من خصائص هذه الأمة، وأن لحافظه عن ظهر قلبٍ أمورًا تخصه في الدنيا والآخرة.

وهذا أمر معلوم، يعلمه كل من له أدنىٰ مسكة من علم، ولذلك: لن أطيل الكلام فيه، وإنما سأكتفي بالإشارة لِمَا لحافظ القرآن في الآخرة من الأجر والثواب، ثم أنتقل بعد ذلك إلىٰ المقصود من هذه الرسالة.

❋ فمن ذلك:

ما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[١].

---

(١) قال الألباني: «حسن صحيح»، انظر كتاب: «صحيح سنن أبي داود» (٥ / ٢٠٥)، حديث: (١٣١٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أُسهِرُ ليلَكَ، وأُظمِئُ هواجِرَك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كلِّ تاجرٍ، فيُعطَىٰ المُلكَ بيمينه، والخُلدَ بشماله، ويوضَع علىٰ رأسه تاج الوقار، ويُكسَىٰ والداه حُلَّتين، لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أَنَّىٰ لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولَدِكُما القرآن.**

وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأْ وارقَ في الدرجات، ورتِّل كما كنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإن منزِلَك عند آخر آيةٍ معَكَ»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال:

«**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حَلِّهِ، فيُلبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يا رب زِدْهُ، فيُلبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضىٰ عنه، فيقال له: اقرأْ، وارقَ، ويُزَادُ بكل آيةٍ حسنةً**»[2].

*** وفي توضيح معناه أقول:**

روىٰ أبو عثمان سعيد بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧هـ)، وأبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٥هـ)، عن الضحاك بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

«يا أيها الناس، علِّموا أولادكم وأهاليكم القرآن، فإنه من كَتب الله عَزَّ وَجَلَّ له من مسلم أن يدخل الجنة إلا قيل له: اقرأ، وارتق في درج الجنة حتىٰ ينتهي إلىٰ علمه من القرآن».

---

(١) حسنه الألباني، انظر: «السلسلة الصحيحة»، حديث رقم: (٢٨٢٩).

(٢) حسنه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ١٦٤)، الحديث رقم: (١٤٢٥).

قال المحقق: «الحديث سنده صحيح إلىٰ قائله الضحاك، وقد صحَّ معناه مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ كما سيأتي، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ... متابعًا لسعيد، فقال: ...»(١).

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ):** «واعلم أن المراد بقوله: «صاحب القرآن»، حافظه عن ظهر قلب علىٰ حد قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله** ..»، أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو علىٰ حسب الحفظ في الدنيا، وليس علىٰ حسب قراءته يومئذٍ واستكثاره منها كما توهَّم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»»(٢).

وأثر الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صريح في الدلالة، ولكن: الله المستعان، كيف سنقنع به من لم تقنعه أحاديث رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ حفظ القرآن، والمبيِّنة لفضله، فأقل ما سيقال بأن الضحاك قد خالف من هو أكبر منه سنًّا وعلمًا(٣)، وهو ابن مسعود، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين!!.

*** وإكمالاً للوجه الأول أقول:**

جاء في صحيح مسلم وغيره، عن عِيَاض بنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ، أن رسول الله ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،**

(١) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٥٩).

(٢) السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٨٤).

(٣) ولكن يكفينا أن نعلم بأن الأمر ثابتٌ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لا كما يزعم أصحاب القول الجديد المحدَث!!.

وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ».

وفيه: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «والاعتماد في نقل القرآن علىٰ حفظ القلوب لا علىٰ المصاحف، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن ربي قال لي أن قُم في قريشٍ فأَنذِرهُم. فقلت: أي رب! إذًا يثلَغوا رأسي** – أي يشدَخوا – **فقال: إني مُبتَلِيكَ ومُبتَلٍ بك، ومُنزِلٌ عليك كتابًا لا يَغسِلُه الماء، تقرؤه نائمًا ويقظانًا، فابعَثْ جندًا أبعَثْ مِثْلَيْهِمْ، وقاتل بمن أطاعَك من عصاك، وأنفِقْ أُنفِقْ عليك»**.

فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلىٰ صحيفةٍ تُغسَل بالماء؛ بل يقرؤه في كل

حال كما جاء في نعت أمته: «أناجيلهم في صدورهم»، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظرًا لا عن ظهر قلب.

وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله علىٰ عهد النبي ﷺ جماعةٌ من الصحابة، كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو، فتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلىٰ نافع وعاصم ليست هي الأحرفَ السبعةَ التي أُنزِل القرآن عليها، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف.

وكذلك ليست هذه القراءاتُ السبعةُ هي مجموعَ حَرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة التي أُنزِل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبَرِين؛ بل القراءات الثابتة عن أئمة القراء - كالأعمش ويعقوب، وخلف وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح ونحوهم - هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده، كما ثبت ذلك.

وهذا أيضًا مما لم يَتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم، وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، والأمة بعدهم، هل هو بما فيه من القراءات السبعة، وتمام العشرة، وغير ذلك، هل هو حرف من الأحرف السبعة التي أُنزِل القرآن عليها؟ أو هو مجموع الأحرف السبعة، علىٰ قولين مشهورين. والأول قول أئمة السلف والعلماء، والثاني قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم، وهم متفقون علىٰ أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضًا خلافًا يتضاد فيه المعنىٰ ويتناقض؛ بل يصدق بعضها بعضًا كما تصدق الآيات بعضها بعضًا ...

إلىٰ أن قال: فإن أصحاب رسول الله ﷺ تَلقَّوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظِه ومعناهُ جميعًا، كما قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي - وهو الذي روىٰ عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»؛ كما رواه البخاري في صحيحه، وكان يُقرِئُ القرآنَ أربعين سنة - قال: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

ولهذا دخل في معنىٰ قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»؛ تعليم حروفه ومعانيه جميعًا؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان[١].

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيتُ أَحَدَهُما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال ونَزَل القرآن**»، وذكر الحديث بطوله، ولا تتسع هذه الورقة لذكر ذلك. وإنما المقصود التنبيه

(١) وهذا في زمانهم، ولم نجد منهم من يَمنَع من حفظ القرآن أو يُزهِّد فيه، كما هو صنيع أصحاب القول الجديد المُحدَث، وإنما كل ما في الأمر أنهم وجَّهوهم لِمَا هو أفضل، وهذا واضحٌ في قولهم: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان»، فأثبتوا لهم تَعلُّم الإيمان بعد تَعلُّم القرآن، ولم ينفوه عنهم بالكلية، وإنما وجَّهوهم لِمَا هو أفضل، ومن الواضح جدًّا أن المراد بهذا العلم السابق لحفظ القرآن؛ إنما هو علم التوحيد والعقيدة وما يحتاج العبد معرفته والعلم به ليصحح به عبادته لله تبارك وتعالىٰ، وليس المراد به الجمع بين حفظ القرآن وتَعلُّم تفسيره، وإلا فلا، كما هي دعوىٰ هذه «المجموعة»؛ أصحاب القول الجديد المُحدَث، والله المستعان!!.

علىٰ أن ذلك كلَّه مما بلَّغه رسول الله ﷺ إلىٰ الناس.

وبلَّغنا أصحابه عنه الإيمان والقرآن، حروفَه ومعانيه، وذلك مما أوحاه الله إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف، كما ثبتت هذه القراءات، وليست شاذة حينئذ. والله أعلم»[١].

والشاهد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولاً: أن الاعتماد في نقل القرآن علىٰ حفظ القلوب لا علىٰ المصاحف، وأنه لا يحتاج في حفظه إلىٰ صحيفةٍ تُغسَلُ بالماء؛ وإنما يُحفظ في الصدور، كما جاء في نعت هذه الأمة: «أناجيلهم في صدورهم»، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظرًا، لا عن ظهر قلب.

ثانيًا: أن القرآن قد حفظه كله علىٰ عهد النبي ﷺ جماعةٌ من الصحابة، ثم مثَّل هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببعضهم، فقال: كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو، وهذا ذَكَرَه للتمثيل، ولم يُرِد به الحصر، كما هو ظاهر.

ويُؤكِّده ما يأتي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب، وكان أحيانًا يقرؤه في ركعة[٢]، وعليٌّ قد اختُلِف فيه: هل حفظ القرآن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٤٠٠).

(٢) وهذا قولٌ لا يرتضيه أصحاب القول الجديد المحدَث، وفي التشويش عليه وعلىٰ ما يشبهه من أقوال، قال قائلهم: «سؤال علمي: هل ثبت بأسانيد صحيحة أو حسنة أن العشرة المبشرين بالجنة كانوا يحفظون القرآن، لا نريد فتاوىٰ أو أقوال لبعض العلماء، أسانيد فقط»!!.

كلَّه أم لا؟»[١].

وقال: «والقرآن تلقَّته الأمة منه حِفظًا في حياته، وحفظ القرآن جميعه في حياته غير واحدٍ من أصحابه، وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر، فهو جميعه منقولٌ سَماعًا منه بالنقل المتواتر، وهو يقول إنه مبلغ له عن الله وهو كلام الله لا كلامه.

وفي القرآن - ما يبين أنه كلام الله - نصوص كثيرة، وكان الذين رأوا محمدًا ﷺ، ونقلوا ما عاينوه من معجزاته وأفعاله وشريعته، وما سمعوه من القرآن وحديثه ألوفًا مؤلفة أكثر من مائة ألف رأوه وآمنوا به»[٢].

وقال: «والقرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله علىٰ نسخ المصاحف، بل الاعتماد علىٰ حفظ أهل التواتر له في صدورهم.

ولهذا إذا وُجِد مصحفٌ يُخالفُ حِفظَ الناس أصْلَحُوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط، فلا يُلتفَتُ إليه، مع أن المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيَّد الناس صورةَ الخَطِّ ورَسْمِه، وصار ذلك أيضًا منقولاً بالتواتر، فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظًا، ونقلوا رسم المصاحف أيضًا بالتواتر.

ونحن لا ندَّعي اتفاق جميع نسخ المصاحف كما لا ندَّعي أن كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظًا ورسمًا، فمن خرج عن ذلك علم الناس أنه غَلِطَ لمخالفته النقل المتواتر»[٣].

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٢٩).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٢١).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٤٢٣).

وقال: «فإن نَقَلَةَ آياتِ محمدٍ ﷺ غيرِ القرآن أضعافُ أضعافِ نقلةِ التوراة والإنجيل فضلاً عن غيرهما من أخبار الأنبياء، فإن التوراة لم تكن جميعُها محفوظةً لعموم بني إسرائيل، كما يَحفَظُ القرآنَ عامَّةُ المسلمين»[١].

* هذه أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب، فعجبًا لمن يبحث له عن قولٍ وينشره ليُعارض به كل هذه الأقوال الثابتة عنه!!.

ثم كون القرآن قد حفظه جَمعٌ من الصحابة، أمرٌ قد ثبتت به السنة، فليس هو محصورًا علىٰ عدد معين منهم، ولا أن من لوازمه فهم كل آيةٍ منه، أو تَعلُّم تفسيرها، كما يتوهَّم البعض، إذ لا قائل بأن حفظ القرآن وفهمه أو تَعلُّم تفسيره متلازمان، لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، ولا أن من لوازم حفظ القرآن فهمه، أو تَعلُّم تفسيره، ومَن ذهب إلىٰ هذا القول، وقال به، واعتقده؛ فليأتنا بقائله صراحةً، وليَدَع فهمه واستنباطه لنفسه، فلسنا بحاجةٍ إليه، وفي أيدينا نصوص الكتاب والسنة، وآثار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما جرىٰ عليه عمل السلف والأئمة إلىٰ يومنا هذا، وكتب التراجم تشهد بذلك، وسيأتي ذكر شيءٍ منها.

بل إن القول بأن من لوازم حفظ القرآن فهمه، أو تَعلُّم تفسيره؛ إحداثٌ في الدين، وبدعةٌ عصرية، لا قائل بها علىٰ مر العصور، كيف لا!! وحفظ القرآن سنةٌ ومستحب، وهو من فروض الكفاية، وكذلك فهمه وتفسيره سنةٌ ومستحب، وهو من فروض الكفاية أيضًا.

فإلزام من أراد أن يحفظ القرآن أو شيئًا منه بفهمه، أو تَعلُّم تفسيره؛ وإيجاب هذا الأمر عليه، إلزامٌ للأمة بما لم يُلزمهم به الله عَزَّوَجَلَّ، ولا رسوله ﷺ، وهو

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٣٥٤).

خلاف ترغيبهم بالفهم وتَعلُّم التفسير لكونه مستحبًّا، ولكونه إذا جُمع مع الحفظ صار الحفظ أكمل وأتم.

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ)**: «المشروع للمؤمن والمؤمنة العناية بالقرآن، والحرص علىٰ حفظ ما تيسر منه، لكن لا يجب علىٰ المكلف إلا الفاتحة، لأنها ركن الصلاة، هي الواجبة، ركن الصلاة الفاتحة، الحمد، يجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يحفظها، وإذا تيسر له أن يحفظ سورًا من القرآن، من المفصل حتىٰ يقرأ مع الفاتحة، فهذا سنة مؤكدة، جزء عم، أو جزء تبارك، أو ما تيسر من ذلك، هذا مطلوب، سنة، مشروع له أن يعتني بهذا الشيء، لكن الواجب قراءة الفاتحة، وإذا تيسر له حفظ القرآن كله، فهذه نعمة عظيمة، وسنة فيها خير كثير، لكن لا يلزم الناس حفظ القرآن، فرض كفاية، يجب أن يكون فيه من يحفظه، لكن لا يلزم فلان أو فلان حفظ القرآن، إنما يُشرع له ذلك، أو ما تيسر منه، كجزء عم أو المفصل كله، من «ق» إلىٰ آخر القرآن، هذا يسمىٰ المفصل، يُشرع حفظ هذا المفصل، إذا تيسر ذلك، أو حفظ ما تيسر منه، جزء عم، نصف جزء عم، ما تيسر من السور، حتىٰ يقرأ مع الفاتحة بعض السور، أما الواجب فالفاتحة ...»[(١)].

ولعل أصحاب هذا المذهب الجديد يقولون: نحن لم نقل بهذا القول، ولم نقصده؟.

فأقول جوابًا علىٰ ذلك: كيف لا!! وقد جعلتم حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه مخالفًا لهدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخروجًا عن جماعتهم!!.

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢٦ / ١٣٧).

وذلك يعني: أن من لوازم حفظ القرآن عندكم تَعلُّم التفسير، وفهم المعاني، وإلا فلا!!.

بل يلزم من ذلك: أنه وإن كان حفظ القرآن - ابتداءً - سنةً ومستحبًّا عندكم، إلا أن العبد إذا عزم علىٰ حفظه، صار الفهم والتفسير واجبًا في حقه، فإن لم يجمع بين الأمرين وقع في المحظور، وخالف الصحابة، وخرج عن هديهم، وعن جماعتهم!!.

هذا لازم قولكم، وإن قلتم بأننا لا نريد هذا الفهم ولا نقصده، وإلا؛ فكيف يكون مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم؛ لو لم يكن الأمر كذلك عندكم، وهذا أمرٌ لا يُنكره إلا مكابر!!.

ثم أقول: من أين لكم أن الصحابة كلهم كانوا لا يتجاوزون العشر آيات أو أكثر أو أقل إلا وقد تعلموا العلم والعمل جميعًا، وهو أمرٌ يصعب إثباته، ولا يستطيع أحدٌ أن يجزم به، خاصةً مع ما سيأتي ذكره من أحاديث وآثار، ومنها ما يخص حفظ الصغار منهم، رضي الله عنهم أجمعين، ومن ادَّعىٰ غير ذلك فهو مكابر، وليُثبِت لنا إجماع الصحابة علىٰ أن حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه مخالفٌ لهديهم، وخارجٌ عن جماعتهم، ولكن بنصوصٍ وأدلةٍ واضحة، تُصرِّح بذلك، لا أن يأتينا بفهمه هو، أو بما يدل علىٰ حثِّهم رضي الله عنهم المسلمين علىٰ ما هو أكمل وأتم لمن أراد أن يحفظ القرآن، ثم يجعله هو واجبًا يُضلِّل به مُخالِفَه!!.

وها هنا حديثان أدلِّل بهما علىٰ المقصود:

الحديث الأول: عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه**

شديد فله أجران»، وهو في الصحيحين.

والحديث الثاني: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»، وهو عند مسلم.

ولننظر يا رعاكم الله؛ ما الذي فهمه العلماء من هذين الحديثين؛ وفي أزمنة مختلفة، وكيف نطقوا بعبارات متفقة في معناها؛ مما يجعلنا علىٰ يقين من أنهم قد أخذوا من مشكاة واحدة.

ثم إن عرفنا أقوالهم؛ فمَن الأولىٰ بأن نعتد بقوله وبفهمه، أهُم هؤلاء الأئمة والعلماء، أم هي هذه «المجموعة»؛ أصحاب هذا القول الجديد المحدَث؟!!.

* وفي توضيح هذا الباب وما يعتقده الأئمة فيه، أقول:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥٤٤هـ)**: «وقوله: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**»: يريد الملائكة، قال ابن الأنباري: سُمُّوا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، فشُبِّهوا بالسفير الذي يُصلح بين الرجلين، وقال ابن عرفة: سُمُّوا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه، وقيل: سفرة: كتبة، وسمىٰ الكاتب سافرًا لأنه يبين الشيء ويوضحه، والأسفار: الكتب، والماهر: الحاذق بالقراءة [قال الهروي]، وأصله الحذق بالسباحة، وقال المهلب: المهارة جودة القراءة بجودة الحفظ، ولا يتردد فيه، يسره الله عليه كما يسره علىٰ الملائكة فهو معها في مثل حالها من الحفظ وفىٰ درجة واحدة إن شاء الله.

قال القاضي: يحتمل - والله أعلم - أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله، ويحتمل أن يكون المراد:

أنه عاملٌ بعمل السفرة وسالكٌ مسلكهم كما يقال: فلان مع بني فلان، إذا كان يرىٰ رأيهم ويذهب مذهبهم ...

وقوله: « «**والذي يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» معنىٰ «**يتتعتع**»: أي يتردد في تلاوته عيًّا، والتعتعة في الكلام: العيُّ والتردد، وأصله الحركة. قال الإمام: يحتمل أن يريد بالأجرين الأجر الذي يحصل له في قراءة حروف القرآن وأجر المشقة التي تناله في القراءة. قال القاضي: ليس فيه دليل علىٰ أنه أعظم أجرًا من الماهر، ولا يصح هذا إذا كان عالمًا به، لأن من هو مع السفرة فمنزلته عظيمة وله أجور كثيرة، ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسوىٰ أجر من علم بأجر من لم يعلم، فكيف يفضله؟ وقد يحتج بهذا من يقول بفضل الملائكة علىٰ بني آدم»(١).

وتدبر يا رعاك الله قوله: «ولا يصح هذا إذا كان عالمًا به».

وقوله: «ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسوَّىٰ أجر من علم بأجر من لم يعلم».

ففي كليهما قد فَرَّقَ بين الحفظ المجرد عن الفهم وتَعلُّم التفسير، وبين من جمع بين الحفظ والفهم وتَعلُّم التفسير، فتدبَّر!!.

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٠٤هـ)**: «ومعنىٰ (مَثَل): صفته؛ كقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، كأنه قال: صفة الذي يحفظ القرآن كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب وفي قراءة القرآن، و «السفرة» سلف أيضًا. و «البررة»: المطيعون من البر، هو الظاهر، فيكون للماهر بها في الآخرة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦٦).

منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله. ويجوز أن يكون المراد أنه عاملٌ بعمل السفرة وسالكٌ مسلكهم.

وقوله: «فله أجران» بتعاهده قراءته ومشقته، أي: من حيث التلاوة والمشقة. قال عياض وغيره: وليس معناه أنه يحصل له من الأجر أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لِمَا سلف، من أنه مع السفرة ولم يذكر خبره، وكيف يلحق به من لم يُعن بالقرآن ولا بحفظه وإتقانه، وقيل: هو ضعف أجر الذي يقرأ حافظًا؛ لأن الأجر علىٰ قدر المشقة»[١].

وقال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٢هـ):** « «**الماهر بالقرآن**» الحاذق به الذي لا يتوقف ولا يشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه ورعاية مخارج حروفه ...

فسَّره بهذا التفسير، ثم نقل عن القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما فيه بيان أن الأمر يعم الأمرين؛ الحفظ والفهم، فقال:

وقال القاضي: الماهر بالقرآن حافظ له أمين عليه يؤديه إلىٰ المؤمنين، يكشف لهم ما التبس عليهم: معدود من عدد السفرة، فإنهم الحاملون لأصله الحافظون له ينزلون به علىٰ رسل الله، يؤدون إليهم ألفاظه، ويكشفون لهم معانيه، «**والذي يقرؤه ويتعتع**» من التعتعة في الكلام: التردد فيه لحصرٍ أو عيٍّ أو سوء حفظ، «**وهو عليه شاق، له أجران**»: أجر لقراءته وآخر لمشقته، ولا يلزم أنه أفضل من الماهر؛ لأن كون الماهر مع السفرة أفضل من الأجرين»[٢].

ثم قد جاء من النصوص والآثار ما يدل دلالةً واضحةً علىٰ أن جمعًا من

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٣ / ٤٩٨).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠ / ٤٦١).

الصحابة قد حفظوا القرآن، وأنه لا يمكن لأحدٍ حصرهم، وإن قالوا قد حفظه قليلٌ منهم، فمقصودهم بالنسبة لعددهم، فهي مسألة نسبة وتناسب، كما يقال، فالمائة في العشرة آلاف قليلون، والألف في المائة ألف قليلون، والمليون في المائة مليون قليلون، وهكذا.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه **أنه قال:** «جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد».

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. قال ونحن ورثناه».

فذكر أبا الدرداء بدلاً من أُبَيِّ بن كعب، فازدادوا به واحدًا.

وفي الصحيحين عن مسروق قال: ذكروا ابن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولىٰ أبي حذيفة وأُبَيِّ بن كعب ومعاذ بن جبل**».

قلت: ساق ابن حبان هذا الأثر مُبوِّبًا عليه بقوله: «ذكر الأمر بأخذ القرآن عن رجلين من المهاجرين ورجلين من الأنصار».

وظاهره كما هو ملاحظ، مخالف لِمَا ذكره أنس رضي الله عنه من أن القرآن قد جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، مما يدل علىٰ أن العدد نفسه غير مراد، وأن الحفظ ليس محصورًا علىٰ هؤلاء الأربعة، أو غيرهم.

ومن تتبع الآثار علم أنه لا خلاف بين الصحابة في ذلك، وأن الحصر غير مراد، وهذا أمر ظاهر لكل من أنصف من نفسه وفهم الخطاب، وإنما الخلاف

عند من تعنَّت وضرب الأقوال ببعضها ليُقوِّي مذهبه، والله المستعان!!.

وفي صحيح مسلم وغيره، عن أنس بن مالك قال: «جاء ناس إلىٰ النبي ﷺ فقالوا أنْ ابعث معنا رجالاً يُعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا - قال - وأتىٰ رجل حرامًا خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتىٰ أنفذه. فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **إن إخوانكم قد قُتِلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا**».

وهنا ازدادوا سبعين قارئًا.

وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرىٰ أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأىٰ عمر، قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من

جمع القرآن. قلت كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلىٰ آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفَّاه الله، ثم عند عمر حتىٰ توفَّاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

وعند أحمد في المسند وفيه: «أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إليه مقتل أهل اليمامة فإذا عمر عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن من المسلمين وأنا أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب قرآن كثير لا يُوعَىٰ وإني أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن».

*** والشاهد من هذا الحديث:**

- **قوله:** «وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن».
- **وقوله:** «إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن من المسلمين وأنا أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب قرآن كثير لا يُوعَىٰ».

وفيه دليل علىٰ كثرتهم، والمقصود بالقراء هنا يقينًا حَفَظَة القرآن، الذين يحفظونه في صدورهم عن ظهر قلب، وإلا فأكثر الصحابة يفهمون معناه وإن لم يحفظوا ألفاظه، كما أشار إلىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما سيأتي.

بل كيف يضيع معناه، وفيهم أبو بكر وعمر، وغيرهما من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وإنما خشي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضياع ألفاظه؛ لتفرقها بينهم، فيكون مع أحدهم

ما لا يكون مع الآخر، كما سبق عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر».

وفيما يخص فهم الصحابة للقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ):

«**فلهذا يحتاج المسلمون إلىٰ شيئين:**

أحدهما: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ[١]، فإن الرسول لَمَّا خاطبهم بالكتاب والسنة عرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلىٰ التابعين أعظم مما بلَّغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنىٰ التوحيد، ومعنىٰ الواحد، والأحد، والإيمان، والإسلام، ونحو ذلك، كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله ﷺ من معرفته[٢]، ولا يحفظ القرآن كله

---

(١) فالأمر ليس محصورًا في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كما هو مذهب «مجموعة النهج – غير – الواضح» الجديد، وقاعدتهم الجديدة: «ائتني بقول ثابت عن صحابي واحد»، بل التابعون وأتباع التابعين ومن سار علىٰ دربهم وسلك سبيلهم من علماء أهل السنة والجماعة أقوالهم معتبرة في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهم حَمَلَة هذا العلم الصحيح، والأمناء عليه، وعلىٰ نقله!!.

(٢) وهذا هو المقصود من قول الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان»، وليس المقصود منه منع المسلمين من حفظ القرآن ما لم يقف الواحد منهم عند كل آية منه فيتعلم تفسيرها مع حفظه لها، وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وخارجًا عن جماعتهم!!.

إلا القليل منهم، وإن كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر ...»[(١)].

– **وقوله:** «فتتبعت القرآن أجمعه من ... وصدور الرجال».

– **وقوله:** «حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره».

وفي هذا دليل واضح علىٰ أن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من يَحفظ من القرآن ما لا يَحفظه الآخر.

– وأما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أن أصحاب النبي ﷺ قد تلقَّوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظِه ومعناهُ جميعًا، فذلك يعني أنهم نقلوا لنا ما تلقَّوه عن النبي ﷺ من ألفاظ القرآن ومعانيه، إذ بهم حفظ الله عَزَّوَجَلَّ هذا الدين، لا أن كل من حفظ القرآن منهم فإنما حفظه علىٰ طريقة ابن مسعود، إذ لم يكن يتعدىٰ الآية أو العشر آيات حتىٰ يتعلم تفسيرها ويعمل بها[(٢)].

ومما يوضح ذلك قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر من مكان فقد بُسِط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧ / ٣٥٣).

(٢) ومن المعلوم والمتقرر أن هذا الأمر إنما هو من فروض الكفاية، وليس فرضًا لازمًا علىٰ كل أحد منهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن ألزمهم بهذا الأمر أو نسبه إليهم وخَطَّأَ من لم يسلك سبيلهم في هذا الأمر، ولم يتابعهم عليه – كما هي دعوىٰ «مجموعة النهج – غير – الواضح»؛ أصحاب المذهب الجديد المُحدَث – فقد فرض علىٰ الصحابة وعلىٰ غيرهم من المسلمين ما لم يفرضه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا رسوله ﷺ!!.

الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنِّي أُوتِيت القرآن ومثله معه**»؛ يعني: السنة.

والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تُتلىٰ كما يُتلىٰ، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة علىٰ ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**بم تحكم؟** قال: بكتاب الله. قال: **فإن لم تجد؟** قال: بسنة رسول الله. قال: **فإن لم تجد؟** قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: **الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لِمَا يُرضي رسول الله**»، وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد.

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لِمَا شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح؛ لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: «عبد الله بن مسعود»، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثنا أبو كريب، قال أنبأنا جابر بن نوح، أنبأنا الأعمش عن أبىٰ الضحىٰ عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله

إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناوله المطايا لأتيته، وقال الأعمش أيضًا عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن والعمل بهن.

ومنهم الحبر البحر «عبد الله بن عباس» ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»»[(١)].

والشاهد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن تفسير القرآن بالسنة مُقدَّمٌ علىٰ تفسيره بأقوال الصحابة.

وأن الصحابة درجات في العلم، وذلك قوله: «لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود».

وأن ما ذكره عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أنهم لا يتجاوزون العشر آيات حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم ويعملوا بها، فإنما يذكره عن نفسه، وعمن عرف منه ذلك، أي عن بعضهم، لا عن جميعهم، وبيان ذلك في قول شيخ الإسلام نفسه، إذ ذكر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولم يذكره بطريقة ابن مسعود في الحفظ، وإنما ذكره بأنه قد نال ما ناله من العلم بالقرآن ببركة دعاء النبي ﷺ له بقوله: «**اللهم فَقِّهه في الدين وعَلِّمه التأويل**».

ولو أن حُفَّاظ الصحابة جميعًا نالوا الحفظ والعلم بالقرآن بطريقة ابن مسعود؛ لَمَا تعدَّاها ابن تيمية ولا غيره من الأئمة إلىٰ غيرها، ولكان وصفًا ملازمًا - عند أهل السنة والجماعة - لكل حافظ للقرآن.

بل أقول: كيف نوفق بين قولكم واستدلالكم هذا، وبين ما جاء عن ابن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٣٦٣).

مسعود نفسه؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؟!!.

فقد بوَّب الحافظ ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ **في صحيحه بقوله:** «ذكر عناية عبد الله بن مسعود لحفظ القرآن في أول الإسلام»، ثم ذكر تحته عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

«قرأت علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعةً وسبعين سورة، وإن زيدًا له ذؤابتان يلعب مع الصبيان».

قال الألباني: «صحيح لغيره».

وقد ساق الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) هذا الأثر بألفاظ مختلفة:

الأول: «خطبنا ابن مسعود فقال: كيف تأمروني أقرأ علىٰ قراءة زيد بن ثابت بعدما قرأت من فيِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعًا وسبعين سورة، وإن زيدًا مع الغلمان له ذؤابتان؟!».

الثاني: «علىٰ قراءة من تأمروني أقرأ؟ لقد قرأت علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما بضعًا وسبعين ...» الحديث.

الثالث: «قرأت من فيِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..» الحديث.

الرابع: «أخذت من فيِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعين سورة، ولا ينازعني فيها أحد».

الخامس: «والله! لقد أخذت من فيِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعًا وسبعين سورة؛ والله لقد علم أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم».

وكل هذه الآثار قد ذكرها الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بأسانيد مختلفة، ثم صحَّح أو حسَّن هذه الأسانيد[1].

وفي هذا دليل واضح علىٰ أن ما ذكره أبو عبد الرحمن السُّلَمي رَحِمَهُ اللَّهُ عن

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة»، الحديث رقم: (٣٠٢٧).

ابن مسعود وغيره، إنما أراد به ما هو أكمل وأتم، ولم يُرِد به المنع من حفظ القرآن لمن لا يجمع معه تَعلُّم التفسير.

ثم أقول: كيف نوفق بين قولكم واستدلالكم هذا، وبين ما جاء عن ابن مسعود نفسه أيضًا؛ رضي الله عنه وأرضاه؟!!.

فقد بوَّب الحافظ المنذري رحمه الله **(ت: ٦٥٦هـ) بقوله:** «الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه، وما جاء فيمن ليس في جوفه منه شيء»، ثم ذكر تحته عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

«إن أصفر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله».

قال الألباني: «حسن لغيره موقوف».

وفي هذا توجيه واضح من ابن مسعود رضي الله عنه لحفظ القرآن، أو لحفظ شيء منه، وأنْ لا تبقىٰ القلوب خاوية منه.

وذلك يعني: أن القائلين بهذا المذهب الجديد المحدَث؛ الذي يصد المسلمين عن حفظ القرآن - بدعوىٰ أنهم ليس لهم أن يحفظوه إلا مع الفهم وتعلم التفسير، أما حفظ اللفظ دون فهم معناه وتعلم تفسيره فلا - لو كلف الواحد منهم نفسه أن يجمع أقوال ابن مسعود رضي الله عنه نفسه، وأن ينظر فيها ويتدبرها تدبر من يريد الحق، لا بحث من تتولد لديه الفكرة، ثم يجد ويجتهد في البحث عما يخدمها من آثار، ثم تتضافر جهود «المجموعة» علىٰ ذلك، حتىٰ إذا ظفروا بشيء يخدم فكرتهم - حسب ظنهم - فهموه بفهم مستقل، لم يسبقهم إليه أحد من علماء السنة، لا في القديم، ولا في الحديث، ولم يقل به أحد من الأئمة علىٰ مر العصور وإلىٰ يومنا هذا، مما يعني أنهم يسيرون علىٰ الطريقة البدعية: «اعتقد ثم

استدل»، إذ لو لم يكن الأمر كذلك؛ لجمعوا الأدلة والآثار ابتداءً، قبل أن ينطقوا ببنت شفة، ولَنَظروا وتدبَّروا أقوال العلماء فيها، وكيف فهموها، ولَمَا استقلوا بفهمها عن فهم العلماء، وهذا هو الواجب عليهم، وعلىٰ أمثالهم، خاصة مع وجود الاختلاف، ووجود مَن قد نبَّههم علىٰ خطئهم، إذ لو فعلوا ذلك، وسلكوا هذا المسلك الذي أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم؛ لَما خرجوا لنا بمثل هذا القول الشاذ، المخالف لِمَا عليه أهل السنة والجماعة علىٰ مر العصور!!.

فقول أبي عبد الرحمن السُّلَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا».

ليست هذه المجموعة[1] هي أول من يعرفه أو يسمع به ويقف عليه، بل سبقهم إليه أئمة، ولم يقل أحد منهم بمثل هذا القول الذي خرجت به علينا هذه «المجموعة»!!.

ثم هو قول إذا جمعناه مع هذه الآثار التي جاءت عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومع ما جاء عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أنه قد حفظ القرآن علىٰ كبر سنه في مدة قليلة؛ كما سيأتي، وتأملنا استدلالات الأئمة به؛ ظهر لنا أن الأئمة قد يستدلون به في إثبات عدة أمور، ليس قول هذه «المجموعة» منها.

* **فمن ذلك:**

- **الأمر الأول:** بيان أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد تلقوا عن النبي ﷺ علم الشرع

---

(١) «مجموعة النهج - غير - الواضح».

كاملاً، لفظه ومعناه، ثم نقلوه لمن بعدهم علىٰ أكمل وجه.

- **الأمر الثاني**: الرد علىٰ أهل البدع الذين يشككون في آيات الصفات، ويزعمون بأنها غير مفسَّرة، فكأنهم يقولون لهم بمثل هذا الأثر: كيف لا**!!** وقد تلقىٰ الصحابة من النبي ﷺ لفظها، ولم يتعدوه حتىٰ فهموا معناه، وعملوا به.

- **الأمر الثالث**: حث المسلمين علىٰ تدبر آيات الله عَزَّوَجَلَّ وفهمها، وعلىٰ العمل بها، زيادة علىٰ الحفظ لمن أراد أن يحفظ، لكي يزداد أجرًا إلىٰ أجره.

وهذه الثلاثة أمور قد جمعها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)، فقال:

«... والصواب ما عليه أئمة الهدىٰ وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تُرَد بالشبهات، فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يُعرِض عنها فيكون من باب الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم يخرون عليها صمًّا وعميانًا، ولا يَترُكُ تَدبُّرَ القرآن فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني. فهذا أحد الوجهين وهو منعُ أنْ تكون هذه من المتشابه.

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نُقِل عن بعض الأئمة أنه سمَّىٰ بعض ما استدل به الجهمية متشابهًا، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله إما المتشابه وإما الكتاب كله كما تقدم، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة ...

وقال أيضًا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فحض علىٰ تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئًا؛

بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفه ما لم يتدبر لِمَا تدبر.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قيل له: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئًا؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه، وما في هذه الصحيفة.

فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الأمة، والفهم أخص من العلم والحكم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال النبي ﷺ: «**رُبَّ مبلغ أوعىٰ من سامع**»، وقال: «**بلِّغوا عني ولو آية**».

وأيضًا فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن؛ آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم، مثل: «عبد الله بن مسعود» الذي كان يقول: «لو أعلمُ أعلمَ بكتاب الله مني تبلُغُه آباطُ الإبل لأتيتُه». و «عبد الله بن عباس» الذي دعا له النبي ﷺ، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين إثباتًا للصفات وروايةً لها عن النبي ﷺ، ومن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا، وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين، بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم ومثلهما في جلالته جلالة أصحاب زيد بن ثابت؛ لكن أصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به، بل أخذوا عن غيره؛ مثل عمر وابن عمر وابن عباس.

ولو كان معاني هذه الآيات منفيًّا أو مسكوتًا عنه لم يكن ربانيُّو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلامًا فيه.

ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية.

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل»»(١).

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ صراحةً علىٰ أن فهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ وتعلم معانيه من تمام القراءة وكمالها، لا أنه لازم من لوازمها، مستدلاًّ علىٰ ذلك بقول أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه، وذلك قوله:

«وكذلك لفظ «التلاوة»؛ فإنها إذا أُطلِقَت في مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ تناولت العمل به كما فسَّره بذلك الصحابة والتابعون؛ مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم، قالوا: يتلونه حق تلاوته، يتَّبعونه حق اتباعه، فيُحِلون حلاله ويُحرِّمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

وقيل: هو من التلاوة بمعنىٰ الاتباع كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]؛ وهذا يدخل فيه من لم يقرأه.

وقيل: بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به، كما قال أبو عبد الرحمن

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٣٠٥).

السُّلَمِي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»»[١].

ثم هب أن الله عَزَّوَجَلَّ أكرم كل من حفظ القرآن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بفهم آياته، وبالعلم بتفسيرها، وتأويلها علىٰ أكمل وجه، حتىٰ نالوا الإمامة في ذلك، وصاروا جميعًا علماء في التفسير والتأويل، ثم نقلوه لمن بعدهم علىٰ أكمل وجه، فحفظ الله جَلَّوَعَلَا بهم الدين، هل يلزم من ذلك أن نمنع الناس من حفظ القرآن، وأن نُزهِّدهم فيه، بحجة أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يحفظوا إلا وقد فهموا، وتعلموا، وعملوا، أو أنهم لم يحفظ القرآن منهم إلا القليل، وذلك أنهم قدَّموا العلم والفهم والتفسير علىٰ الحفظ؟!!.

هل يلزم ذلك ونحن نرىٰ النصوص تحث المسلمين علىٰ الحفظ، ونرىٰ الآثار تذكر لنا أن من الصحابة من حفظ القرآن في الصِّغر دون أن يستنكر حفظهم أحد، ونرىٰ تتابع الأئمة إلىٰ يومنا هذا علىٰ حفظ القرآن، وعلىٰ حث المسلمين كبارًا وصغارًا علىٰ حفظه؟!!.

لا شك أن الجواب: لا يلزم ذلك!!.

وقد جاء في السنة ما يوضح هذا المعنىٰ، وأن الصحابة لم يستنكروا علىٰ من حفظ القرآن صغيرًا، بل جعلوا له الإمامة في الصلاة، يؤم بحفظه الكبار.

ففي صحيح البخاري وغيره عن عمرو بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

«قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله؟ قال: فلقيته فسألته، فقال: كنا بماءٍ مَمَرَّ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٦٧).

الناس، وكان يمر بنا الرُّكبان فنسألهم: ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحىٰ إليه، أو أوحىٰ الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يُقَرُّ في صدري، وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامهم الفتحَ، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًّا، فقال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليَؤُمَّكُم أكثركم قرآنًا**». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني لِمَا كنت أتلقَّىٰ من الرُّكبان، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردةٌ كنت إذا سجدت تقلَّصَت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا اسْتَ قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص».

وهذا يعني: أن الأصل في حفظ الصغار للقرآن أنه أمر ممدوح، وأن ما جاء من منع بعضهم، أو توجيهه لأن يجمع بين الحفظ والفهم، فلأحد سببين:

- إما حثًّا منهم له وتوجيهه لِمَا هو أكمل وأتم.
- وإما لظروف تخصه، فيكون لأمر له ملابساته، وليس هو حكمًا عامًّا.

ورحم الله الإمام أبا بكر أحمد بن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، إذ يقول:

«سألتَ عن السنة ما هي؟ والسنة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ كثيرةٍ في الأحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم علىٰ أن نسبوه إلىٰ السنة القول بإثبات القدر، وإن الاستطاعة مع الفعل للفعل، والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكلُّ طاعةٍ مع مطيعٍ فبتوفيق الله له، وكلُّ معصيةٍ من عاصٍ فبخذلان الله السابق منه

وله، والسعيد من سبقت له السعادة، والشقي من سبقت له الشقاوة، والأشياء غير خارجة من مشيئة الله وإرادته، وأفعال العباد من الخير والشر فِعلٌ لهم خَلقٌ لخالقهم، والقرآن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، تكلم الله به، ليس بمخلوق، ومن قال: مخلوقٌ ممن قامت عليه الحجة فكافر بالله العظيم، ومن قال مِن قبل أن تقوم عليه الحجة فلا شيء عليه، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وإثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، يراه أولياؤه في الآخرة نظر عيان كما جاءت الأخبار، وأبو بكر الصديق أفضل أصحاب رسول الله ﷺ بعده، وهو الخليفة خلافة النبوة، بويع يوم بويع وهو أفضلهم وهو أحقهم بها، ثم عمر بن الخطاب بعده علىٰ مثل ذلك، ثم عثمان بن عفان بعده علىٰ مثل ذلك، ثم علي بعده علىٰ مثل ذلك، رحمة الله عليهم جميعًا.

ثم شرع في ذكر شيءٍ من فضائلهم، إلىٰ أن قال في وصف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وتزوج ابنتي النبي ﷺ، ولم يجتمع ذلك لأحدٍ قط، ثم أَذْهَنُهُم ذِهنًا، وأَظْهَرُهُم عبادةً، حَفِظ القرآن علىٰ كِبَرِ سِنِّهِ في قِلَّةِ مُدةٍ، فكان يقوم به في ليلةٍ واحدة، ومن سخائه أن النبي ﷺ نَدَبَ إلىٰ جيش العُسرَة فجاء بألف دينار، ثم ألف، ثم ألف، ثم جهَّز جيش العسرة بأَجْمَعِ جِهَازِهِم»[1].

فرضي الله عن عثمان بن عفان الخليفة الراشد الذي حفظ القرآن علىٰ كِبَرِ سِنِّهِ في مُدَّةٍ قليلة، مما يعني أن طرق الحفظ عند الصحابة متعددة، وليست محصورة علىٰ طريقة واحدة.

* ومما لحافظ القرآن عن ظهر قلب من خصائص أيضًا زيادة علىٰ حديث عياض بن حمار المجاشعي.

---

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٣١).

- ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان سالم مولىٰ أبي حذيفة يَؤُم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي ﷺ في مسجد قباء؛ فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة».

والسؤال: بأي شيء نال هذا الفضل، حتىٰ قُدِّم علىٰ كبار الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، أبحفظ القرآن أم بفهمه؟.

ورحم الله الإمام الألباني؛ إذ طبَّق هذا المعنىٰ عمليًّا، كما ذكر هو عن نفسه، وقد سئل:

هل يجوز قراءة القرآن بالمصحف في صلاة القيام؟.

فأجاب: «لا، ...

تصوَّروا أنفسكم الآن تُصَلُّون في عهد عمر صلاة القيام، من كان يَؤُمُّهم؟ أبيٌّ بن كعب، ولذلك لابد لنا أن نوجد أُبيًّا، وهذه الطريقة - يعني القراءة من المصحف - لا تُوجِد أُبيًّا ولا نصف أبيٍّ، ولذلك من محاضرتي أُذَكِّر بالحديث المعروف ألا وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**تعاهدوا هذا القرآن وتَغنَّوا به فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**».

تعاهدوا هذا القرآن؛ الذين يَؤُمُّون الناس في المساجد من المصحف ولا مؤاخذة؛ مع احترامي لأي إمام يَؤُم الناس من المصحف، هؤلاء لا أقول بأنهم كسالىٰ، أقول: علىٰ الأقل إنهم ما نفَّذوا هذا الأمر النبوي «**تعاهدوا هذا القرآن**»، ما معنىٰ تعاهدوا: مُبيَّنٌ في تمام الحديث، إذا لم يظل الحافظ مكررًا لِمَا يحفظه من القرآن ليلاً نهارًا، فسينفلت منه كما تنفلت الإبل الشاردة من عُقُلِها، من مرابطها، معروفة الإبل عند أصحاب الإبل بأن طبعها يُضرَب بها المثل فيقال:

أحقد من جمل، فهو شديد الحقد، وشديد الشرود؛ حتىٰ إنه ليقطع الحبل مهما كان متينًا، ولذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يخاطب العرب أصحاب الإبل: إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من عُقُلِها، فإذا لم يُعنَ أفرادٌ من المسلمين، وهذا واجبٌ كفائيٌّ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، يضطرون إلىٰ أن يلجأوا إلىٰ القراءة من المصحف، هل كان هكذا السلف الصالح؟ طبعًا لم يكونوا كذلك، إذًا لابد من أن نُوجِد طلبةً يحفظون القرآن، ويُحسِنون تلاوة القرآن، وبالتالي يَؤُمُّون الناس ولو كانوا أطفالاً، والمقتدون من ورائهم كانوا شيوخًا؛ لأن العبرة بالحافظ، وليس بالعالم، ولذلك أنا كثيرًا وتَرَونَني قد أشرفت علىٰ الثمانين أُصلِّي وراء الشباب، لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سِنًّا**»، أين جئت أنا؛ في المرتبة الثالثة، «**فإن كانوا في السن سواء، فأقدمهم هجرة**»، إذًا يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فيجب أن يَؤُم القوم في صلاة التراويح أقرؤهم لكتاب الله، وأنا حين أقول هذا، أعلم أنه قد يكون هناك صبيان صغار يحفظون أكثر من رجالات كبار، ولكن قد لا يُحسِنون الصلاة، فيكون سلوك هذا الخط في تطبيق هذا الحديث وسيلة شرعية لتعليم بعض هؤلاء الأطفال الحُفَّاظ كيفية الصلاة؛ حتىٰ يُصَلُّوها مع الجماعة ويَؤُمُّون الناس وبصلاةٍ يُحسِنونها، كما أمر بها رسول الله ﷺ، وختامًا أُذَكِّر بحديث رجلٍ من صغار الصحابة اسمه عمر بن أبي سلمة[1]، أبوه أبو سلمة كان من أوائل الأنصار

(١) وليس هو المعني في هذه الرواية كما ظن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما المعني هنا هو: عمرو بن سلمة الجرمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الذين آمنوا برسول الله ﷺ قبل هجرته عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ المدينة، وكان هؤلاء الأنصار يذهبون إلىٰ مكة معتمرين للقاء الرسول ﷺ، وليتلقوا منه ما قد يكون قد نزل من أحكام شرعية جديدة، فسافر أبوه مرة ورجع هو وجماعة من كبار الأنصار، معهم حكم جديد علَّمهم الرسول إيَّاه، وهي: أن يُصَلُّوا جماعةً، وقد كانوا من قبل يُصَلُّون فُرادىٰ، فجاؤوا وهم يحملون حكمًا جديدًا، وعلَّمهم الرسول هذا الحديث: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله**» إلىٰ آخر الحديث، قال عمر هذا: فنظروا في المدينة فلم يجدوا أقرأ مني، ولم يجدوا أحفظ مني، وعمره بين السابعة والتاسعة، هكذا جاءت الرواية، يعني بالكثير عمره تسع سنوات، قال: فقدَّموني أُصَلِّي بهم إمامًا، رجالات كبار بِلِحَىٰ يُصَلُّون وراء طفلٍ صغيرٍ ابن تسع سنين بالكثير، ومن طفولته أنه كان عليه كما جاء في الحديث شملة؛ يعني: إزار من قماش ثقيل خميل، فلما كان يسجد كان يرتفع هذا القماش من فوقه والنساء يُصَلِّين خلف الرجال كما هي السنة، فينكشف شيءٌ من عورته، فما كاد يُسَلِّم هذا الغلام من الصلاة وإذا بامرأةٍ تصيح من وراء الرجال: «استروا عنا است إمامكم»، قال: فاشتروا لي ثوبًا، فما فرحت بشيء فرحي بمثل فرحي بهذا الثوب، طفل مع ذلك أَمَّ الرجالات الكبار، فإذًا علينا أن نُعنَىٰ بحفظ القرآن، وأن نتشبَّه بسلفنا الصالح»[1].

قلت: رحم الله الإمام الألباني، فقد أتعب من بعده، إذ هو علىٰ جلالة قدره وعلو كعبه في العلم، يجعل نفسه في المرتبة الثالثة، فيقول:

«ولذلك أنا كثيرًا وتَرَونَني قد أشرفت علىٰ الثمانين أُصَلِّي وراء الشباب،

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٦٩٤).

لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سِنًّا**»، أين جئت أنا؛ في المرتبة الثالثة».

بل ويُقدِّم من هو حافظٌ للقرآن ويجعله إمامًا اتباعًا للحديث، ودون تنطعٍ منه، ولا إلزامٍ لهذا الحافظ أن يتعلم التفسير، وإلا مُنِع من الإمامة!!.

أَضِف إلىٰ ذلك حثه رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حفظ القرآن تشبهًا بالسلف الصالح، وعلىٰ رأسهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهم أولىٰ من يدخل في هؤلاء السلف، وهذا خلاف ما يقرره أصحاب القول الجديد المُحدَث من إخراج حافظ القرآن عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ما لم يَجمع بين الحفظ وتعلم التفسير.

وهذا يعني أن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجعل حفظ القرآن هديًا للصحابة والسلف، دون أن يقيده بقيد أو شرط، وأصحاب القول الجديد المُحدَث يجعلون حفظ القرآن مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم[1]، ما لم يلتزم حافظه بقيدهم الذي وضعوه، وبشرطهم الذي اشترطوه، وهو أن يحفظه علىٰ الطريقة المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ!!.

---

(١) كثرت دندنة «مجموعة النهج – غير – الواضح» علىٰ لفظة «الصحابة»، وعلىٰ «هدي الصحابة»؛ وذلك أنَّ من إحداثاتهم الجديدة التي أحدثوها مع ما أحدثوه من مسائل وأقوال في السنوات الأخيرة؛ التفريق بين الصحابة وبين من جاء بعدهم من التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء، فالسلف عندهم هم الصحابة وحدهم دون من سواهم، والسلفية عندهم محصورةٌ في الصحابة دون من سواهم، فإذا قال قائلهم: أنا سلفي، فمراده الانتساب إلىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أي: أسير علىٰ هدي الصحابة فقط، أما أئمة السنة من بعدهم، فلا!!، أئمة السنة من بعد الصحابة لا يدخلون في السلف عند هذه «المجموعة»، ولا يستحقون أن يكونوا سلفًا لهم!!.

- وما جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث سهل بن سعد الساعدي: «أن امرأةً جاءت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله جئتُ لأَهَبَ لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه؛ فلما رأت المرأة أنه لم يَقضِ فيها شيئًا جلست، فقام رجلٌ من أصحابه؛ فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجةٌ فَزَوِّجنِيها، فقال: هل عندك من شيء، فقال: لا والله يا رسول الله، قال: اذهب إلىٰ أهلك فانظر هل تجد شيئًا، فذهب ثم رجع؛ فقال؛ لا والله يا رسول الله، ما وجدت شيئًا، قال: انظر ولو خاتَمًا من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتَمًا من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: ما له رداءٌ - فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك، إنْ لَبِسْتَه لم يكن عليها منه شيء، وإنْ لَبِسَتْه لم يكن عليك شيء، فجلس الرجل حتىٰ طال مجلسه ثم قام، فرآه رسول الله ﷺ مُوَلِّيًا فأمَر به فَدُعِي، فلما جاء، قال: ماذا معك من القرآن، قال: معي سورة كذا وسورة كذا؛ عَدَّها، قال: أتقرؤهن عن ظهر قلبك، قال: نعم، قال: اذهب فقد مَلَّكْتُكَهَا بما معك من القرآن».

فتدبَّروا يا رعاكم الله سنة نبيكم ﷺ وهديه، وتمسكوا بها، وذلك ظاهرٌ في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أتقرؤهن عن ظهر قلبك**»، فبهذا الحفظ نال ما نال.

- وما جاء في مستدرك الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلىٰ في ليلة بمائة آية لم يُكتب من الغافلين، ومن صلىٰ في ليلة بمائتي آية فإنه يُكتب من القانتين المخلصين**».

- وما جاء في صحيح ابن خزيمة وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ بألف آية كُتب من المقنطرين**».

وقد ذكر الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) ما يخدم هذا المعنىٰ بوضوح، حيث قال:

«وكان يقول: «**من صلىٰ في ليلة بمئتي آية؛ فإنه يُكتب من القانتين المخلصين**»، و «كان يقرأ في كل ليلة بـ: (بني إسرائيل) و(الزمر)، وكان يقول: «**من صلىٰ في ليلة بمئة آية؛ لم يُكتب من الغافلين**»، و «كان أحيانًا يقرأ في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر»، وتارة «يقرأ قدر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾»»[1].

والمقصود: أن حفظ القرآن لو لم يحفظه حافظه إلا بهذه النية وحدها، ولنيل هذا الفضل العظيم، لكفاه، ولكان له من الأجر والثواب عند الله عَزَّوَجَلَّ ما له، فكيف به لو جمع مع هذه النية غيرها، مما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ويرضاه.

فاحرصوا يا رعاكم الله علىٰ حفظه، وعلىٰ تحفيظه أولادكم، وأخلصوا لله تعالىٰ في أقوالكم وأعمالكم، ثم من استطاع منكم أن يجمع بين الحفظ والفهم وتعلم التفسير؛ فليفعل، فبه يزداد خيرًا إلىٰ خير، وينال الأكمل والأتم، فمن كمال حفظ القرآن وتمامه فهم معانيه وأحكامه، والعمل به، ومن عجز عن ذلك، أو شقَّ عليه ذلك، فليأتِ منه ما يستطيع، فما لا يُدرَك كُلُّه، لا يُترَك جُلُّه.

ثم اعلموا أن لكل عابد شِرَّةً، ولكل شِرَّةٍ فترةً، كما جاء في الحديث عند ابن خزيمة وغيره، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه:

«**إن لكل عملٍ شِرَّةً، ولكل شِرَّةٍ فترةً، فمن كانت فَترَتُه إلىٰ سنتي فقد اهتدىٰ،**

---

(١) انظر: «أصل صفة صلاة النبي ﷺ» (٢/ ٥٢٥).

ومن كانت فَتَرَتُه إلىٰ غير ذلك فقد هلك».

وفي رواية أخرىٰ[١]: «**إن للإسلام شِرَّةً، وإن لكل شِرَّةٍ فترةً، فإن كان صاحبهما سَدَّد وقارب فارجوه، وإن أُشِير إليه بالأصابع فلا ترجوه**».

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(شِرَّة): بكسر الشين المعجمة، وتشديد الراء، وبعدها تاء تأنيث؛ هي: النشاط والهمة. وشِرَّة الشباب: أوَّله وحِدَّته. كذا في (الترغيب)»[٢].

فقدرة الشاب الصغير علىٰ الحفظ أقوىٰ من قدرة الكبير، ولكن دون إفراط ولا تفريط، كما قال شُراح هذا الحديث:

قالوا: «**لكل شيء شِرَّة**»؛ أي: حرصًا علىٰ الشيء ونشاطًا ورغبةً في الخير أو الشر، «**ولكل شِرَّة فترةً**» أي: وَهَنًا وضَعْفًا وسكونًا، «**فمن كانت فترته إلىٰ سنتي**» أي طريقتي التي شرعتها «**فقد اهتدىٰ**» أي: سار سيرة مرضية.

«**فإن صاحبها سدد وقارب**»؛ قالوا: فإن جعل صاحب الشِّرَّة عمله متوسطًا، وتجنب طرفي أفراط الشِّرَّة وتفريط الفترة «**فارجوه**»؛ أي: ارجو الفلاح منه فإنه يمكنه الدوام علىٰ الوسط، وأحب الأعمال إلىٰ الله أدومها، ومن كانت إلىٰ غير ذلك فقد هلك هلاك الأبد، لأن من سلك غير هديه ﷺ فهو من الهالكين.

فاحرصوا عباد الله علىٰ حفظ القرآن وتعلمه، وعلىٰ تحفيظه أولادكم وتعليمهم إياه، دون إفراط ولا تفريط، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل فترة أولادكم إلىٰ سنة نبيه ﷺ.

---

(١) ذكرها الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث رقم: (٢٨٥٠).

(٢) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٥٢٢).

واعلموا أن فضل حفظ القرآن كبير، وكبير جدًّا، وهذا ما يقرره العلماء، وإن جمعوا معه الحث علىٰ الفهم والتدبر.

وقد سئل الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ)، هل هناك تلازم بين العقيدة والمنهج، وهل صحيح أن أي انحراف أو خلل في المنهج يلزم منه انحرافًا في العقيدة؟.

فأجاب: «لا شك أن هذه المسألة هي مسألة هامة جدًّا، فهم العقيدة لابد أن ينطلق المسلم؛ سواء كان عالمًا أو كان طالبًا أو كان من عامة الناس، لابد أن يكون منطلقه في فهم العقيدة الإسلامية علىٰ المنهج الصحيح، وقبل أن نتكلم عن المنهج ينبغي أن أُفَصِّل أو أُبَيِّن وأُوَضِّح كيف بالنسبة لعامة الناس، ثم الذين أعلىٰ منهم قليلاً وهم طلاب العلم، كيف هؤلاء يستطيعون أن يفهموا العقيدة بناءً علىٰ المنهج الصحيح وهم ليسوا علماء.

إذًا العلماء هم الذين يستطيعون أن يفهموا العقيدة علىٰ المنهج الصحيح، فما بال الطبقتين الأخيرتين؟.

الجواب: كما نقول في كثير من المجالس، نُذَكِّر بقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل القرآن، وكما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حديثٍ ثابت: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**».

وهنا لابد أن أقول شيئًا بالنسبة لأهل القرآن كما قلت بالنسبة لأهل الذكر آنفًا.

فقلنا: أن أهل الذكر ليسوا هم الرَّقَصة والأَكَلة، كذلك أريد أن أقول: أن أهل

القرآن ليسوا هم الحَفَظَة للقرآن فقط، والذين لا يفقهون شيئًا من معاني القرآن، وإن كان حفظ القرآن له أجرٌ كبيرٌ وكبيرٌ جدًّا، شريطة أن يكون هذا الحفظ لله عَزَّوَجَلَّ، وليس من أجل الدرهم والدينار، فالآن نقول: أهل الذكر هم أهل الله وخاصته، أي أهل القرآن الذين يتدبرون القرآن، ويفهمون القرآن، ويعملون بالقرآن، ثم العمل بالقرآن لا يمكن إلا إذا ضُمَّ إليه حديث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسنته، لأن الاستقلال في فهم القرآن باللغة العربية؛ هذا لا يمكن أن يكون المحاول لفهم القرآن بالعربية فقط علىٰ هدًىٰ من ربه، هذا أمرٌ مستحيل، لو جِيء بسيبويه زمانه وأعلم الناس باللغة العربية لم يستطع أن يُفسر القرآن كما أراد مُنزِّله، لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال في جملة ما أنزل مخاطبًا شخص الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

إذًا هذه الآية تدل دلالةً صريحةً علىٰ أنها تضمَّنت أمرين اثنين:

نقول قبل كل شيء هما المُبيَّن والمُبيِّن ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فإذًا الآية فيها مُبيَّن وفيها مُبيِّن؛ المُبيَّن: هو القرآن، والمُبيِّن: هو حديث الرسول أو سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إذًا لابد لكل مسلم من أن ينهج هذا المنهج في أن يفهم ليس فقط عقيدته، بل أن يفهم شريعة الله عَزَّوَجَلَّ ككل، لكن من باب أولىٰ العقيدة ...»[1].

وقال: «فمع كون باب الاجتهاد مفتَّح الأبواب فهنا موقفان متباينان متعارضان.

الموقف الأول: أن كثيرًا من الناس يجتهدون ولَمَّا تتوفر فيهم وسائل الاجتهاد.

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٠٨٠).

أول ذلك: حفظ القرآن.

ثاني ذلك: الأحاديث، معرفته بالأحاديث الواردة عن الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ويتبع ذلك أن يُميِّز الصحيح من الضعيف، فكثير من العلماء في كل عصر؛ ليس في هذا العصر فقط، يوردون أحاديث في كتبهم لا تصح عند علماء الحديث، ولا يخفاك أن كلَّ علمٍ له أهله، له المتخصصون فيه، ويجب في كل علم أن يُرجَع فيه الىٰ المتخصِّصين[1]، فإذًا: الذي يريد أن يجتهد، فبالإضافة إلىٰ رجوعه إلىٰ الكتاب وإلىٰ السنة، فينبغي أن يُميِّز السنة الصحيحة فيَبني عليها، مِن السنة الضعيفة فلا يعتمد عليها.

الموقف الذي يُقابِل هذا هو أن كثيرًا من الناس إذا خُولِفوا في رأيهم أو أهل الاجتهاد نقَموا علىٰ المخالفين، وهذا تعصُّبٌ مقيتٌ بَغيظٌ لا يجوز[2]، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ واحد**»؛ لذلك، نحنُ إذا وجدنا عالمًا حقًّا مما سلف أو خلف أخطأ في حكمٍ ما، نحنُ لا نُؤاخِذُه لأنه مأجورٌ بشهادة الحديث السابق، لكن ذلك لا يمنعنا أن نقول كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أخطأ»؛ لأنه: في: «صواب»، وفي: «خطأ»، فإذا بدَىٰ لنا أن زيدًا من الناس ممن سلف أو خلف كما قلنا «أخطأ» في رأيٍ ما؛ في مسألةٍ ما، ذلك لا يَحول بيننا وبين أن نقول: «أخطأ زيدٌ من الناس»، لكن كلمة «أخطأ» يعني: مأجورٌ أجرًا واحدًا، وقد جاء في الحديث أيضًا في صحيح البخاري: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) لا إلىٰ أهل الجهل والسفسطة وأهل التصدر والتعالم، كما هو حاصل اليوم، من أصحاب هذه الأفكار المسمومة، التي وجَدَت لها آذانًا صاغية تنقاد لها، وتحملها، وتقررها؛ كلٌّ منهم في المحيط الذي يعيشون فيه، والله المستعان!!.

(٢) وقد رأيناه واضحًا جليًّا بين أدعياء الوضوح من «مجموعة النهج – غير – الواضح»، والله المستعان!!.

طلب من الرسول ﷺ بأن يسمح له بتأويل رؤيا قُصَّت علىٰ مسامعه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فأذن له، فسأله: هل أصَبتُ يا رسول الله؟ قال: «**أَصَبتَ بعضًا وأخطأت بعضًا**»؛ فلا نتورَّع نحنُ من أن نقول: «فلان أخطأ»؛ لأن هذه الكلمة ليست قدحًا، وليس فيها أي مغمزٍ أو طعنٍ، عند مَن يَفهم، الذي يَفهم أن من «أخطأ مجتهدًا» فهو مأجورٌ، فليس في ذلك أي غَمزٍ أو لَمزٍ، وإنما الواقع، نحنُ نعرف أن كثيرًا من الناس لا يَعرفون هذه الحقيقة ولذلك فهم يَعظُم عليهم أن يقال: «فلانٌ أخطأ»، وقد خَطَّأ أفضلُ البشر أفضلَ الصحابة كما سمعتَ آنفًا[١]، هذا موقفنا من الاجتهاد وأهل الاجتهاد، نُقر الاجتهاد، وبأهل الاجتهاد، ولا ننقم علىٰ من أخطأ، لكن ذلك لا يحولُ بيننا وبين بيان الخطأ بالدليل من الكتاب والسنة»[٢].

فتأمل يا رعاك الله قوله: «وإن كان حفظ القرآن له أجرٌ كبيرٌ وكبيرٌ جدًّا، شريطة أن يكون هذا الحفظ لله عَزَّوَجَلَّ، وليس من أجل الدرهم والدينار».

وقوله: «فالآن نقول: أهل الذكر هم أهل الله وخاصته، أي أهل القرآن الذين يتدبَّرون القرآن، ويفهمون القرآن، ويعملون بالقرآن، ثم العمل بالقرآن لا يمكن إلا إذا ضُمَّ إليه حديث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسنته، لأن الاستقلال في فهم القرآن

(١) وهو أمرٌ مختلفٌ تمامًا عمَّا تعاملت به «مجموعة النهج - غير - الواضح» مع علماء السنة، الشيخ ربيع وعبيد وغيرهما، رحم الله من مات منهم، وغفر لحيِّهم، فلا يَغرَّنَّكم قولهم أو قول بعضهم: ماذا تنقمون علينا وقد ذكرتم عن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر هنا وقرَّرتموه، وهو مذهب أهل السنة والجماعة كما تعلمون، وجوابًا علىٰ ذلك أقول: أربعوا علىٰ أنفسكم، فكلام الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردٌّ عليكم، ومُبطِلٌ لقولكم، ولِمَا تعاملتم به مع علماء السنة!!، ومن أراد التفصيل في هذا الباب؛ فليرجع لرسالة: «دفع تهمة المجالس السرية عن الشيخ ربيع وتبرئته من موافقة الخوارج ومن سلوك مسلكهم الرديء»، وهي منشورة علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٠).

باللغة العربية؛ هذا لا يمكن أن يكون المحاول لفهم القرآن بالعربية فقط علىٰ هدًىٰ من ربه، هذا أمرٌ مستحيل، لو جِيء بسيبويه زمانه وأعلم الناس باللغة العربية لم يستطع أن يُفسر القرآن كما أراد مُنزِّلُه، لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال في جملة ما أنزل مخاطبًا شخص الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]».

ثم اضمم إليهما قوله: «أن كثيرًا من الناس يجتهدون ولَمَّا تتوفَّر فيهم وسائل الاجتهاد.

أول ذلك: حفظ القرآن.

ثاني ذلك: الأحاديث، معرفته بالأحاديث الواردة عن الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ ...».

دون إلزامٍ منه بالوقوف عند كل آية من القرآن لتعلم تفسيرها، وبهذا نعلم أن القول بأن من حَفِظ القرآن أو اجتهد في حفظه دون أن يجتهد في فهم معانيه، فإنه مخالفٌ لهدي الصحابة؛ قولٌ باطلٌ، لا قائل به من أهل العلم.

إذ إن هذه الطريقة التي ذكرها الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي طريقة من جمع بين حفظ القرآن وفهمه من الصحابة، فحفظوا وعلموا وعملوا، بل هي طريقتهم جميعًا؛ حتىٰ من لم يحفظه كاملاً، ولا أدل علىٰ ذلك من قول أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من هو في الفضل والعلم، إذ يقول: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن قلت ما لا أعلم»، والعلم مأخوذ من الكتاب والسنة، لا من الكتاب وحده، ولا من السنة وحدها، فمن اكتفىٰ بأحدهما دون الآخر، وظن أنه قد نال الكمال بذلك؛ فقد ظل.

ومن هنا أقول: إن أنت ألزمتَ الناس بالحفظ علىٰ هذه الطريقة فقط، وجعلتَ المخالف لها خارجًا عن هدي الصحابة والسلف، فأبشر بالحُفَّاظ!!.

واعلم بأنك قد ألزمتَهم بما لم يُلزِمهم به الله ورسوله ﷺ، وعطَّلت شعيرةً عظيمةً من شعائر الإسلام، ألا وهي: حفظ القرآن وتلاوته، فالحافظ يتلوه ماشيًا وراكبًا وجالسًا من حِفْظِه، بخلاف غيره ممن لا يحفظ القرآن، إذ لا يتمكن من قراءته إلا وبيده المصحف متىٰ ما سنحت له الفرصة بذلك.

ورحم الله الإمام الألباني إذ نصَّ علىٰ أن حفظ القرآن أول وسائل الاجتهاد، مع عدم حفظه له كاملاً كما ذكر هو عن نفسه.

الوجه الثاني: أن من الأمور المتفق عليها بين السلفيين هي أن الحديث حجةٌ بنفسه في العقائد والأحكام.

ولست بحاجة لأن أطيل الكلام في هذه المسألة؛ لوضوحها واتفاق جميع السلفيين عليها، ولعل ما حصل من اعتراض علىٰ أحاديث النبي ﷺ الحاثة علىٰ حفظ القرآن، والمبيِّنة لفضله - دون أن تشترط تعلم التفسير، والوقوف عند كل آية منه لتعلم تفسيرها - إنما هو زلةٌ غير مقصودةٍ منهم، حصلت بما فهمه المعترضون من آثار الصحابة رضي الله عنهم التي جمعوها، ثم فهموها علىٰ غير ما أراده الصحابة منها - وعلىٰ خلاف ما فهمه منها أئمة الهدىٰ من أهل السنة والجماعة - وحمَّلوها ما لا تحتمل، ومن ثَمَّ حملوها علىٰ غير وجهها الصحيح.

وإلا فمن المحال أن نجد من أصحاب النبي ﷺ من يُخطِئ فيأتي بما فيه مخالفةٌ واضحةٌ وصريحةٌ لأحاديث رسول الله ﷺ، ولهديه وأمره، ثم لا نجد في الصحابة من يَرد هذا الخطأ ويُبطله، حتىٰ يُظن فيه الإجماع[1].

---

(١) كما هي دعوىٰ «مجموعة النهج - غير - الواضح»؛ التي تزعم بأن حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها؛ مخالفٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

ولو كان الإجماع منعقدًا - كما يزعم أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث - علىٰ عدم جواز حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون تعلم تفسيره، لَمَا خالفه التابعون وأتباعهم من أئمة السنة وعلمائها، وهم يقرأون قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومادام الأمر كذلك، فمن المعلوم عند أهل السنة جميعًا، وعلىٰ رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أن أحاديثَ النبي ﷺ وسنَّتَه مقدمةٌ علىٰ قول الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلىٰ فهمه، ما لم يكن إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منعقدًا علىٰ هذا القول وهذا الفهم، إذ الحجة في إجماعهم، لأن إجماع الصحابة لا يكون إلا حقًّا، وإجماع الأمة من بعدهم لا يكون إلا حقًّا أيضًا، وذلك أن الإجماع لا يكون إلا حقًّا، ولا يخرج عن الكتاب والسنة، كما هو ثابت عن النبي ﷺ، وذلك قوله: «**لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة**».

والخلاف إذا وُجِد - سواء بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفي زمانهم، أو بين من بعدهم - فالواجب فيه الرجوع إلىٰ السنة وتحريم مخالفتها.

وفي ذلك قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ):

«إن من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية - علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام - هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة؛ من أمور غيبية اعتقادية، أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر «الرسالة»: «لا يحل القياس والخبر موجود»، ومثله

ما اشتهر عند المتأخرين من علماء الأصول: «إذا ورد الأثر بطل النظر»، «لا اجتهاد في مورد النص»، ومستندهم في ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة»[١].

ثم تحت عنوان: «بطلان تقديم القياس وغيره على الحديث»، قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن رد الحديث الصحيح بالقياس أو غيره من القواعد التي سبق ذكرها، مثل رده بمخالفة أهل المدينة له، لهو مخالفة صريحة لتلك الآيات والأحاديث المتقدمة القاضية بوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف والتنازع.

ومما لا شك فيه عند أهل العلم أن رد الحديث لمثل ما ذكرنا من القواعد، ليس مما اتفق عليه أهل العلم كلهم، بل إن جماهير العلماء يخالفون تلك القواعد، ويقدمون عليها الحديث الصحيح اتباعًا للكتاب والسنة.

كيف لا مع أن الواجب العمل بالحديث، ولو مع ظن الاتفاق على خلافه، أو عدم العلم بمن عمل به[٢].

قال الإمام الشافعي في «الرسالة»: «ويجب أن يُقبل الخبر في الوقت الذي يثبت فيه، وإن لم يَمضِ عملٌ من الأئمة بمثل الخبر».

وقال العلامة ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «ولم يكن الإمام أحمد رحمه الله تعالى يُقدم على الحديث الصحيح عملاً، ولا رأيًا، ولا قياسًا، ولا قولَ صاحبٍ، ولا عدم علمه بالمخالف الذي يُسميه كثيرٌ من الناس إجماعًا، ويقدمونه على الحديث الصحيح، وقد كذَّب أحمد من ادَّعى هذا الإجماع، ولم يُسغ تقديمه على الحديث الثابت، وكذلك الشافعي أيضًا نص في «رسالته الجديدة» على أن

(١) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص: ٢٥).

(٢) ماذا عسى «مجموعة النهج – غير – الواضح»؛ أن تقول وتقرر عند هذا الكلام؟!.

ما لا يُعلَم فيه بخلاف لا يُقال له إجماع ... ونصوص رسول الله ﷺ أجل عند الإمام أحمد وسائر أئمة الحديث من أن يُقدِّموا عليها توهُّم إجماع، مضمونه عدم العلم بالمخالف، ولو ساغ لتعطَّلت النصوص، وساغ لكل من لم يعلم مخالفًا في حكم مسألة أن يُقدم جهله بالمخالف علىٰ النصوص»[1].

وقال ابن القيم أيضًا: «وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم علىٰ من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياس، أو استحسان، أو قول أحد من الناس كائنًا من كان، ويَهجرون فاعل ذلك ويُنكِرون علىٰ من ضرب له الأمثال، ولا يُسوِّغون غير الانقياد له ﷺ والتسليم، والتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتىٰ يشهد له عمل أو قياس، أو يوافق قول فلان وفلان، بل كانوا عاملين بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وأمثاله مما تقدم، فدُفِعنا إلىٰ زمان إذا قيل لأحدهم: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: كذا وكذا، يقول: من قال بهذا؟[2] دفعًا في صدر الحديث، ويَجعل جَهلَه بالقائل حجةً له في مخالفته وترك العمل به، ولو نَصَحَ نَفسَه لَعَلِم أن هذا الكلام من أعظم الباطل، وأنه لا

---

(١) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج – غير – الواضح» حين ادَّعت إجماع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ عدم جواز قراءة القرآن أو حفظه؛ إلا لمن يجمع معه الوقوف عند كل آيةٍ ليتعلم تفسيرها، وأن من لم يقرأه أو يحفظه علىٰ هذه الطريقة التي درج عليها الصحابة رضي الله عنهم؛ فهو مخالفٌ لهدي الصحابة، وخارجٌ عن جماعتهم!!.

(٢) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج – غير – الواضح»، إذ عارضت أحاديث رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ قراءة القرآن وحفظه دون اشتراط الجمع بين القراءة أو الحفظ وبين تعلم التفسير بأثر أبي عبد الرحمن السُّلَمِي، وحصَرَت حفظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا الأثر، وأن من خالف هذا الأثر؛ فهو مخالفٌ لهدي الصحابة، وخارجٌ عن جماعتهم!!.

يحل له دفع سنن رسول الله ﷺ بمثل هذا الجهل، وأقبح من ذلك عذره في جهله، إذ يعتقد أن الإجماع منعقدٌ علىٰ مخالفة تلك السنة، وهذا سوء ظن بجماعة المسلمين؛ إذ ينسبهم إلىٰ اتفاقهم علىٰ مخالفة سنة رسول الله ﷺ[١]، وأقبح من ذلك عذره في دعوىٰ هذا الإجماع، وهو جهله وعدم علمه بمن قال بالحديث؛ فعاد الأمر إلىٰ تقديم جهله علىٰ السنة، والله المستعان».

قلت: وإذا كان هذا حال من يخالف السنة، وهو يظن أن العلماء اتفقوا علىٰ خلافها، فكيف يكون حال من يخالفها، إذا كان يعلم أن كثيرًا من العلماء قد قالوا بها[٢]، وأن من خالفها لا حجة له إلا من مثل تلك القواعد المشار إليها، أو التقليد علىٰ ما سيأتي في الفصل الرابع»[٣].

والمقصود: أنك يا طالب العلم إذا ما وقفت علىٰ أثر عن الصحابة رضي الله عنهم، أو علىٰ آثار كثيرة عنهم، في المسألة الواحدة، ورأيت ظاهرها قد خالف سنةً ثابتةً عن النبي ﷺ، أو أن فيها تزهيدًا لعبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات، أو حثًّا علىٰ ترك عبادة أو طاعة قد دلت النصوص عليها، وعلىٰ فضلها، وإثبات الأجر لفاعلها، فاعلم أن الخلل في فهمك أنت، لا في هذه الآثار، وإن صحَّت الآثار وبلغت ألف أثر، وما عليك - والحال هذه - إلا أن تعيد فيها النظر مرة ومرتين وألف، فإن لم تفهمها، ولم يُزَل عنك الإشكال؛ فارجع إلىٰ العلماء ليُزيلوا عنك الإشكال، ويُجَلُّوا لك الشبهة، لأن أصحاب النبي ﷺ لا يخالفون هديه، ولا يخرجون عن

(١) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج - غير - الواضح» حين ادَّعت اتفاق الصحابة رضي الله عنهم علىٰ مخالفة سنة رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ قراءة القرآن وعلىٰ حفظه أو حفظ شيء منه؛ دون قيد أو شرط.

(٢) كما هو الشأن في قراءة القرآن أو حفظه دون الوقوف عند كل آيةٍ لتعلم تفسيرها!!.

(٣) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص: ٣٩).

سنته، حاشاهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يتعمَّدوا ذلك، أو أن يُجمِعوا عليه، فإن أخطأ أحدٌ منهم، فإنك ستجد تصويب هذا الخطأ من غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنفسهم.

*** ولتوضيح هذا الأمر سأذكر أثرين من صلب الموضوع:**

- **الأول**: ما سبق ذكره عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا لا يجاوزون العشر آيات حتىٰ يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل.

وهذا قد سبق توضيحه، وأن المقصود منه: أنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الثقات العدول الذين شهدوا التنزيل، وحملوه عن النبي ﷺ لفظًا ومعنًىٰ، ثم نقلوا لنا هذا الدين غضًّا طريًّا كما تلقَّوه من النبي ﷺ، هكذا فهمه العلماء، وفي مثل هذه المواطن، وفي الرد علىٰ من يشكك في معاني الكتاب والسنة؛ استخدموه.

ولم يقل أحد من العلماء؛ لا قديمًا ولا حديثًا، بأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أرادوا بهذا الأثر تقييد حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقراءته؛ بأن لا يحفظه ولا يقرأه إلا من جمع معه الفهم والتفسير، أو أنه لا يجوز لأحد أن يحفظه أو يقرأه إلا علىٰ هذه الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّن نقلها عنهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

- **الثاني**: ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «قَدِم علىٰ عمر بن الخطاب رجلٌ، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أُحِب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبَرَني عمر، وقال: مَهْ، فانطلقت إلىٰ منزلي مكتئبًا حزينًا، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجلٌ فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي، فقال: ما الذي كرهت؟ قلت: يا أمير المؤمنين، متىٰ يتسارعوا هذه المسارعة يَحتقُّوا، ومتىٰ ما يَحتقُّوا يَختصِموا،

ومتىٰ ما يَختصِموا يَختلِفوا، ومتىٰ ما يَختلِفوا يَقتَتِلوا، قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتىٰ جئتَ بها».

وفي رواية: «فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلٌ فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني وأخذ بيدي فخلا بي وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت».

وفي رواية أخرىٰ: «فانطلقت إلىٰ منزلي مكتئبًا حزينًا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة، ولا أُراني إلا قد سقطت من نفسه؛ فاضطجعت علىٰ فراشي، حتىٰ عادني نسوة أهلي، وما بي وجع».

قوله: (يَحتقُّوا): أي: يقول كل منهم الحق معي.

وهذا الأثر يحتاج منا إلىٰ تأمل وتدبر، بأن ننظر إليه من جميع جوانبه؛ لا أن نأخذ منه جانبًا، وندع غيره، فأقول:

أولاً: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لعلمه عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولَمَا ارتضاه ابتداءً إذ أُخبر به، ولَمَا قبله ممن أخبره به.

ثانيًا: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما غضب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ولَما نَهَرَه وزَجَرَه علىٰ استنكاره.

ثالثًا: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن كنت

أسأت فإني أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت»، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين جميعًا، فضلاً عن السلفيين، وأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أكبر وأجَل من أن يخالف شرع الله عَزَّوَجَلَّ لقول أحدٍ من الناس كائنًا من كان.

رابعًا: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما حزن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتندَّم علىٰ قوله، وهو من هو في نصرة الحق، ورد الباطل.

* **والسؤال**: لماذا قبل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد أن أخبره بالعلة التي قال لأجلها ما قال؟ وهي خوفه من أن يقول كل منهم الحق معي، ثم يقتتلوا بعد ذلك؟.

والجواب: أن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره، فابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أراد لهؤلاء ما هو أكمل وأتم، ونحن إذا تأملنا فهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وخشيته علىٰ هؤلاء الحُفَّاظ لوجدناه حقًّا، لا يُنكره أحد، لا عمر، ولا أبو بكر قبله، ولا غيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ولا من هو دونهم من الأئمة والعلماء، إذ به خرجت الخوارج، وظهرت البدع وانتشرت.

وهذا أمرٌ ظاهرٌ، وهو شاملٌ للدين كله، وليس محصورًا علىٰ الجهل بالقرآن، من جهة حفظه ومعناه، فالقرآن والسنة كلاهما وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلاهما يحث ابن عباس وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل ومن هو دونهم علىٰ تعلمهما والتدبر فيهما، فما قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ووافقه عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنما يُراد به الحث علىٰ تعلم العلم من الكتاب والسنة، سواء حَفِظ العبد القرآن أم لم

يحفظه، وليس فيه المنع من الحفظ، ولا التقليل من شأنه، لا من قريب ولا من بعيد، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لكل من تدبره.

فأنت يا طالب العلم مما يلزمك من هذا الأثر وما في معناه، أنك إذا رأيت الشاب أو الصبي يأخذه والده إلىٰ جماعة منحرفة عن السنة، ليحفظ عندهم القرآن، أو يتعلم عندهم السنة، أو حتىٰ في علم من علوم الدنيا، فبيِّن له، وحذِّره، ووجِّهه إلىٰ الصواب، وإلىٰ ما فيه حماية لهذا الشاب من الانحراف، حتىٰ وإن بلغ الحال به إلىٰ أن يُمنَع من حفظ القرآن، ومن فهمه، ومن تعلم السنة، مادام الأمر سيقوده إلىٰ الانحراف عن الكتاب والسنة، وإلىٰ الخروج عنهما، وعن هدي أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن سار علىٰ دربهم إلىٰ يوم الدين.

وإذا رأيت الشاب أو الصبي يحرص والده علىٰ تحفيظه القرآن مع المحافظة عليه، وتجنيبه كل هذه الشرور؛ فشجِّعه، ووجِّهه إلىٰ أن يهتم به اهتمامًا زائدًا، فيحرص علىٰ أن يجمع له بين الحُسنَيَين؛ الحفظ والفهم وتعلم التفسير بقدر استطاعته، دون أن يشق عليه، فيترك الحفظ بسببه، وهكذا.

فالمسألة نسبة وتناسب، لا أن تجعل قاعدةً عامةً لم تُسبَق إليها؛ تَصرِف بها الآباء والأبناء عن قراءة القرآن، وعن حفظه؛ بدعوىٰ أن القراءة أو الحفظ دون فهمٍ لمعاني القرآن، ودون تعلم التفسير، خلافٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

بل إن الحكمة والعقل يحملان السلفي علىٰ أن يحث السلفيين خاصة علىٰ قراءة القرآن، وعلىٰ حفظه، وعلىٰ تحفيظه أبناءهم، لكي يسدوا الفراغ الموجود في الساحة الدعوية، كما يقال، ولكيْ لا يتركوها للمخالفين يبثون فيها سمومهم، خاصة ونحن نرىٰ حافظ القرآن وما له عند الدول الإسلامية، وعند عامة الناس،

من منزلة ومكانة، فهو المُقدَّم للإمامة والخطابة، وغيرها، وهو الذي يُلجَأ إليه ويُرجَع إليه في الفتوىٰ وغيرها، وإن كان جاهلاً!!.

وذلك يعني: أنه ليس من الحكمة بتاتًا أن نصرف عنها السلفيين، بحجة إما أن تفهم أو تترك!!.

بل في فعلنا هذا خدمة لا مثيل لها لأصحاب المناهج المنحرفة، لأن المخالف للسنة إذا سُئِل سيفتي وإن كان جاهلاً، أما صاحب السنة فالأصل فيه أنه سيتورَّع عن الإجابة، وسيقول لِمَا لا يدري: لا أدري، ومن ثَم يوجِّههم إلىٰ العلماء السلفيين، فيُحفَظ الناس في عقائدهم وعباداتهم بعد الله عَزَّوَجَلَّ بسبب هذا السني السلفي الحافظ للقرآن.

الوجه الثالث: أنه لابد أن نعلم أن تعامل السلف مع الآثار الموقوفة والمقطوعة يختلف تمامًا عن تعاملهم مع الأحاديث المرفوعة إلىٰ النبي ﷺ.

وذلك أن الهجوم علىٰ الآثار الموقوفة والمقطوعة، الواردة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعمَّن دونهم، وتضعيفها بهذه الطريقة، ليست طريقةً سنيةً سلفيةً، بل هي طريقةٌ مخالفةٌ لهدي السلف، جرىٰ عمل الأئمة والعلماء قديمًا وحديثًا علىٰ خلافها، فلا تجد فيهم من يسعىٰ جاهدًا لتقوية قوله ورأيه بتصحيح الأحاديث والآثار أو تضعيفها، بل مسلك التصحيح والتضعيف لا يسلكونه إلا حمايةً للدين، وانتصارًا له، لا تجد فيهم من يسلكه حمايةً لنفسه، ولا انتصارًا لمذهبه، وقوله.

فالأئمة رحمهم الله إذا رأوا الأمر قد جرىٰ عليه عمل السلف، وتتابع عليه عملهم، علموا أنه حقٌّ، وأن له أصلاً ثابتًا عندهم، فإن خرج عليهم من يُشكِّك فيما تتابع عليه عمل الأئمة، ويحاول إبطاله، فهنا تجدهم يَنشطون للتصحيح

والتضعيف؛ ليُبيِّنوا بطلان قوله، ويُعلِموته أن الأئمة لم يتتابعوا، ولن يتتابعوا علىٰ فعل أو قول إلا ولهم فيه أصلٌ ثابتٌ ينطلقون منه، إما من كتاب، أو سنة، أو إجماع، إذ لو لم يكن كذلك لَمَا تتابَعوا عليه.

ونشاطهم في التصحيح والتضعيف؛ لبيان بطلان قول هذا المُشكِّك؛ ما هو إلا لعلمهم بأن الآثار الموقوفة والمقطوعة؛ إذا جاءت مخالفةً للكتاب والسنة، فلابد أن يوجد من الآثار نفسها ما يُبطِلها، وذلك لعلمهم بأن السلف لا يتعمَّدون الخطأ، فإذا صدر الخطأ من أحدهم، فلابد أن يُوجَد فيهم من يَرده ويُبطِله، وذلك أن حماية الدين والذب عنه هو الأساس الذي ينطلقون منه، وما أكثر ما نجد في مصنفاتهم وكتبهم ما يذكرونه من الآثار دون أن يُشدِّدوا فيها، خاصةً إذا جاءت هذه الآثار موافقةً للكتاب والسنة، ولا مخالفة فيها، وذلك ليس جهلاً منهم بأسانيدها، ولا بصحيحها من سقيمها، ولكن لعلمهم بأن لها أصلاً ثابتًا، وأنها لا تخرج عمَّا أصَّلوه هم وقَعَّدوه من أصول وقواعد، فتجدهم يذكرونها استئناسًا بها، يُقوُّون بتتابع الأئمة عليها ما يُقرِّرونه من مسائل عقائدية، أو غيرها، قد بذل أهل الباطل قصارىٰ جهدهم لإسقاطها وتشكيك المسلمين فيها، فإذا ما رأىٰ المسلمون تتابع السلف من الصحابة والتابعين، وتتابع الأئمة من بعدهم عليها، وعلىٰ ذكرها في مصنفاتهم، وعلىٰ العمل بها، اطمَأَنُّوا لها، وهدَأُوا، وإن كان فيها ما فيها من ضعف، إذ تتابعهم عليها يدل علىٰ وجود أصلها، وأنها حقٌّ مشروع.

ونحن يا طلاب العلم لو سلكنا غير هذا السبيل الذي سلكوه، لأسقطنا مصنفات السلف واحدًا تلو الآخر، وعلىٰ رأس هذه المصنفات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه،

وغيرهم كثير، ولعبثنا بمسائل كثيرة قد احتوتها كتبهم، ومصنفاتهم، بل وكتب العقائد قبلهم، وشكَّكنا المسلمين فيها، والله المستعان.

ولست أطيل في هذه المسألة أيضًا، فاللبيب تكفيه الإشارة، ولننظر كيف تعامل الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من هو في هذا الفن مع مثل هذا الأمر:

ذكر الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) في «السلسلة الضعيفة» حديثًا، ولفظه: «لَمَّا وضع رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود في القبر نزع الأخلة بفيه [يعني العقد]».

ثم قال تحته:

«هذا، وروىٰ ابن أبي شيبة عن رجل عن أبي هريرة قال: «شهدت العلاء الحضرمي، فدفنَّاه، فنسينا أن نَحِلَّ العُقَدَ حتىٰ أدخلناه قَبرَه، قال: فرفعنا عنه اللَّبِنَ، فلم نرَ في القبر شيئًا».

ثم ساق في الباب آثارًا أخرىٰ عن بعض التابعين لا تخلو من ضعف، لكن مجموعها يلقي الاطمئنان في النفس أن حَل عُقَد كفن الميت في القبر كان معروفًا عند السلف، فلعله لذلك قال به الحنابلة تبعًا للإمام أحمد، فقد قال أبو داود في «مسائله» (١٥٨): «قلت لأحمد (أو سئل) عن العُقَد تُحَل في القبر؟ قال: نعم».

وقال ابنه عبد الله في «مسائله» (١٤٤ / ٥٣٨): «مات أخ لي صغير، فلما وضعته في القبر، وأبي قائم علىٰ شفير القبر، قال لي: يا عبد الله! حل العقد، فحللتها»[1].

وفي موطنٍ آخر؛ قال:

«إنه لا تلازم عند أهل الحق والعلم بين كون حديثٍ ما ضعيفَ الإسناد، وبين أنْ لا يكون له أو لبعضه أسانيد أخرىٰ تُقوِّيه، فالباحث الناصح حقًّا؛ لا

(١) السلسلة الضعيفة (٤ / ٢٤٦)، حديث رقم: (١٧٦٣).

يقف عند هذا الإسناد، بل إنه يتوسَّع في بحثه، ويُوسِّع أفق نظره، لعله يجد ما يُقوِّيه، أو يُقوِّي بعضه علىٰ الأقل ...

إلىٰ أن قال:

ومما يُؤكِّد صحة الحديث: جريان عمل العلماء عليه، واحتجاجهم به في كتبهم، مع اطلاعهم علىٰ العلة المزعومة، وهي الوقف علىٰ الزهري؛ كالإمام النووي في «الرياض» و «شرح مسلم»، وغيرهما، والشيخين: المصنف هنا، وشيخه في الفتاوىٰ، والحافظ العراقي في مواطن من كتابه: «تخريج الإحياء»، وابنه أبي زرعة في «طرح التثريب»، والحافظ ابن كثير في «التفسير»، وغيرهم كثير وكثير، مما لا يمكن إحصاؤه»[(١)].

قلت: انظر يا طالب العلم إلىٰ تعامل هذا العالم الرباني مع آثار السلف، وانظر إلىٰ تعامل من هو دونه، ممن جدوا واجتهدوا ليجعلوها موافقةً لقولهم الجديد المُحدَث، والله المستعان.

الوجه الرابع: ذكر بعض ما جاء عن الأئمة في تراجمهم، ومن أقوالهم، مما يخص حفظ القرآن، مما يدل دلالةً ظاهرةً علىٰ أن له أصلاً عندهم.

- **الأول:** ما جاء عن محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤هـ).

فقد جاء في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام.

وفيها: عن الليث بن سعد، قال: ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، يُحدِّث في الترغيب، فتقول: لا يُحسِن إلا هذا، وإن حَدَّث عن العرب والأنساب،

---

(١) انظر كتاب: «إغاثة اللهفان» (١ / ٦٥٢)، بتخريج الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلت: لا يُحسِن إلا هذا، وإن حَدَّث عن القرآن والسنة، كان حديثه.

وفيها: قال ابن شهاب: فبينا نحن معه نسمر، إذ جاءه رسول عبد الملك، فذهب إليه، ثم رجع إلينا، فقال:

من منكم يحفظ قضاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أمهات الأولاد؟.

قلت: أنا. قال: قُم. فأدخلني علىٰ عبد الملك بن مروان، فإذا هو جالس علىٰ نمرقة، بيده مخصرة، وعليه غلالة، ملتحف بسبيبة، بين يديه شمعة، فسلمت، فقال: من أنت؟ فانتسبت له، فقال: إن كان أبوك لنعارًا في الفتن. قلت: يا أمير المؤمنين، عفا الله عما سلف. قال: اجلس. فجلست، قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم ...

وفيها: معن بن عيسىٰ: عن ابن أخي الزهري، قال: جمع عمي القرآن في ثمانين ليلة»[1].

والشاهد من ترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قد حفظ القرآن في ثمانين ليلة، ولم يجعله أحدٌ من الأئمة مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم، كما هي دعوىٰ أصحاب القول الجديد المُحدَث؛ فتأمل!!.

- **الثاني**: ما جاء عن محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤هـ).

فقد جاء في ترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ ما يدل دلالةً واضحةً علىٰ أنه قد حفظ القرآن وهو صغير، وهذا أمر مُسلَّمٌ به، لا حاجة لنا لإثباته، لولا أننا قد اضطررنا إليه، وذلك بسبب تشغيب أصحاب القول الجديد المُحدَث به.

فمن ترجمته: «قال ابن أبي حاتم: سمعت عمرو بن سواد: قال لي الشافعي: ولدت بعسقلان، فلما أتىٰ عليَّ سنتان، حملتني أمي إلىٰ مكة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ - ٣٣٢).

وقال ابن عبد الحكم: قال لي الشافعي: ولدت بغزة، سنة خمسين ومائة، وحُملت إلىٰ مكة ابن سنتين ...

قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رَضِيَ مني أن أقوم علىٰ الصبيان إذا غاب، وأخفِّف عنه.

وعن الشافعي قال: كنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلىٰ الديوان، فأستوهبُ الظهور، فأكتب فيها.

قال عمرو بن سوَّاد: قال لي الشافعي: كانت نَهمَتي في الرَّمي، وطلب العلم، فنلتُ من الرَّمي حتىٰ كنت أصيب من عشرةٍ عشرةً، وسكتَ عن العلم، فقلت: أنت والله في العلم أكبرُ منكَ في الرَّمي.

قال أحمد بن إبراهيم الطائي الأقطع: حدثنا المزني، سمع الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت «الموطَّأ» وأنا ابن عشر.

الأقطع: مجهول ...

وعن الشافعي قال: أتيت مالكًا وأنا ابن ثلاث عشرة سنة – كذا قال، والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة – قال: فأتيت ابن عمٍّ لي والي المدينة، فكلم مالكًا، فقال: اطلب من يقرأ لك، قلت: أنا أقرأ، فقرأت عليه، فكان ربما قال لي لشيءٍ قد مرَّ: أَعِدْهُ، فأُعيدُه حفظًا، فكأنه أعجَبه، ثم سألته عن مسألة، فأجابني، ثم أخرىٰ، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا.

ويُروىٰ عن الشافعي: أقمت في بطون العرب عشرين سنة، آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مرَّ بي حرفٌ إلا وقد علمت المعنىٰ فيه

والمراد، ما خلا حرفين، أحدهما: دسَّاها.

إسنادها فيه مجهول.

قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قرأت القرآن علىٰ إسماعيل بن قسطنطين».

والسؤال: هل يُعقَل بأن يكون الإمام الشافعي قد نال ما نال في شتىٰ الفنون؛ حتىٰ بلغ فيها أعلىٰ المراتب، ونال المنزلة العالية في الحفظ؛ فمن حديث، إلىٰ فقه، إلىٰ شعر، إلىٰ غير ذلك، ثم فرَّط في حفظ القرآن، فتعداه إلىٰ غيره، ولم يحرص عليه، ولم يحفظه؟!!.

فيا عجبًا لمن فرح بما وجده وظفر به من لفظ أو لفظين يُضعِّف بهما حفظ الشافعي للقرآن، ويَنفيه عنه، كفرحه بقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨هـ): «الأقطع: مجهول»، وقوله: «إسنادها فيه مجهول».

ولم ينظر لِمَا أراده الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراده لهذين الأثرين، وأنه إنما أتىٰ بهما ليستأنس بهما علىٰ إثبات ما هو ثابتٌ عنده، من أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان آيةً في الحفظ، وأنه قد جمع مع حفظ القرآن غيره، لا أنه جاء بهذين الأثرين ليضعفهما، وليضعف بتضعيفه لهما إثبات حفظ الشافعي للقرآن، ويَنفيه عنه!!.

ولو كلف - مَن نفىٰ الحفظ عن الشافعي - نفسه، وتأمَّل الترجمة نفسها؛ لعلم يقينًا بأن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حفظ القرآن وهو صغير، إذ كان ممن قرأ عليهم القرآن: إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين؛ شيخ الإقراء بمكة.

وفي الترجمة نفسها أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد انتقل إلىٰ مكة وهو ابن سنتين، ثم تعلم فيها ما تعلم - حتىٰ رَضِيَ المعلم منه أن يقوم مقامه، ويُعلِّم

الصبيان إذا غاب - إلىٰ أن انتقل منها إلىٰ المدينة وهو ابن نيفٍ وعشرين سنة، وقد بلغ من العلم والحفظ منزلةً عاليةً، مما يستحيل معها أنْ لا يكون حافظًا للقرآن.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٤٨هـ)**: «اتفق مولد الإمام بغَزَّة، ومات أبوه إدريسُ شابًّا، فنشأ محمدٌ يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحولت به إلىٰ مَحْتِدِه[١]؛ وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل علىٰ الرَّمي، حتىٰ فاق فيه الأقران، وصار يُصيب من عشرة أسهمٍ تِسعةً، ثم أقبل علىٰ العربية والشِّعر، فبرع في ذلك، وتقدَّم.

ثم حُبِّب إليه الفقه، فَسادَ أهل زمانه ...

وارتحل - وهو ابن نيِّفٍ وعشرين سنة، وقد أفتىٰ وتأهَّل للإمامة - إلىٰ المدينة، فحمل عن مالك بن أنس «الموطَّأ»، عرضه من حفظه، وقيل: من حفظه لأكثره»[٢].

هذا هو الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيا عجبًا ممن هو منتسبٌ للسنة وأهلها؛ ثم يسعىٰ جاهدًا ليُضعِّف إمامًا من أئمتها، ويُقلِّل من قَدْرِه عند أتباعه، أو عند العامة علىٰ الأقل؛ بأن يَنفي عنه ما هو ثابتٌ له من حفظه للقرآن، ظلمًا وافتراءً، ودون أي بينة؛ إلا الهوىٰ وحب الانتصار، يفعل ذلك مع إمامٍ من أئمة السنة، ونحن نرىٰ أهل البدع - في الطرف الآخر - يسعون جاهدين علىٰ العكس من ذلك، فهم يسعون لأن ينسبوا إلىٰ كبرائهم ما لم ينالوا عشر معشاره، ليرفعوا من شأنهم عند الناس، وليكون لهم القبول عند العامة، وغيرهم!!.

بل والأدهىٰ من ذلك والأمر أن نجد في المنتسبين إلىٰ السنة من يتكلَّف

---

(١) أي: إلىٰ موطنه الأصلي مكة.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٦ - ١٣).

تضعيف آثارٍ، قد تتابع عليها أئمة السنة، قديمًا وحديثًا، تدل بمجموعها علىٰ صحة ما يسعىٰ هو لنسفه، وإلغائه، دون أن يلتفت لجلالة وقَدرِ هؤلاء الأئمة، وما لهم من الفضل والمنزلة عند المسلمين عمومًا، وعند السلفيين علىٰ وجه الخصوص، ودون أن ينظر إلىٰ استحالة تواطئهم علىٰ ما رآه هو باطلاً، والله المستعان!!.

- **الثالث**: ما جاء عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١هـ).

فمن ذلك:

أولاً: قال صالح بن زياد السوسي: «سألت أبا عبد الله عن الإمام يخاف أن يُمتَحن علىٰ الإمامة؟ قال: يتركها.

قلت: فالمؤذِّن يخاف أن يُمتَحن علىٰ الأذان؟ قال: يتركه.

قلت: فالمقرئ يخاف أن يُمتَحن علىٰ القراءة؟ قال: لا يتركها؛ ليس كل الناس يحفظ القرآن»[1].

ثانيًا: قال الميموني: «سألت أحمد: أيما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟.

قال: بالقرآن.

قلت: أُعلِّمه كله؟.

قال: إلا أن يَعسر عليه فتُعلِّمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعوَّد القراءة ولزمها»[2].

ثالثًا: قال ابن هانئ: «قلت لأبي عبد الله: ما معني: لو كان القرآن في إهابٍ ما مسَّته النار؟.

قال: هذا يُرجَىٰ لمن القرآن في قلبه، ألا تَمَسَّه النار.

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣/ ٤٠٥).

(٢) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣/ ٤٠٦).

«في إهاب»؛ يعني: في جلد، يعني: في قلب رجل.

وقال في موضع آخر: «في إهاب»؛ في جلد»[١].

- **الرابع:** ما جاء عن ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٧هـ).

فقد جاء في ترجمته أنه قال: «لم يدعني أبي أشتغل في الحديث حتىٰ قرأت القرآن علىٰ الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث»[٢].

- **الخامس:** ما جاء عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٠هـ).

فقد جاء في ترجمته أنه قال: «كنت أقرأ علىٰ المشايخ وأنا صبي، فقال الناس: أنت أُبَيٌّ، لجودة قراءتي»[٣].

- **السادس:** ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ).

فقد جاء في ترجمته أنه قرأ القرآن، والفقه، وناظر، واستدل، وهو دون البلوغ.

وبرع في التفسير، وأفتىٰ، ودرَّس، وله نحو العشرين[٤].

والشاهد من ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قرأ القرآن وحفظه وهو دون البلوغ، ثم برع في تفسيره بعد ذلك، فليتق الله من ينسب إليه خلاف ما هو عليه، وسيأتي شيءٌ من أقواله الصريحة في هذا الباب، وما أكثرها.

- **السابع:** ما جاء عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٦هـ).

فقد جاء في ترجمته: «وقرأ القرآن بها حتىٰ حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر،

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣ / ٤٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٦ - ١٣).

(٤) انظر هذا الكلام من ترجمته في كتاب: «القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي» (ص: ٥).

وكان حاد الفهم، سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته، وذكائه.

وبعد حفظ القرآن، اشتغل بالعلم، وجد في الطلب، وأدرك بعض الإرب قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة، ربما كتب الكراسة في المجلس»(١).

والشاهد من ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قد اشتغل بالعلم، وجد في الطلب، بعد أن حفظ القرآن ...

- **الثامن:** سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ).

فقد جاء في ترجمته: «هو الحافظ المحدِّث الفقيه المجتهد، الثقة، أوحد الحُفَّاظ، تاج عصره جمال الزمان ...

كان آيةً في العلم والحلم، والحفظ والذكاء، له المعرفة التامة في الحديث ورجاله، وصحيحه وحسنه وضعيفه، والفقه والتفسير والنحو.

وكان في معرفة رجال الحديث يسامي أكابر الحُفَّاظ، وضُرِب به المثل في زمنه بالذكاء، وكان حسن الخط، ليس في زمنه من يكتب بالقلم مثله ...

برع في الفنون، كانت له اليد الطولىٰ في الحديث ورجاله؛ يُروىٰ عنه أنه كان يقول: أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية.

لم ير شخص حصل له من الكمال والعلوم، والصفات الحميدة، التي لم يحصل بها الكمال لسواه، علىٰ صغر سنه.

صنَّف شرح كتاب التوحيد لجده، فمَن بعدَه عيالٌ عليه؛ ولكنه لم يُكمِله، وله حاشيةٌ علىٰ شرحه، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، كان طلبة العلم يحفظونها عن ظهر قلب، ورسالة في عدد الجمعة لم ينسج علىٰ منوالها، وأجوبة

---

(١) الدرر السنية (١ / ٣٧٥).

فرقناها علىٰ حسب الترتيب، ومن وقف علىٰ كلامه، شهد له بالشهامة والجودة، والذكاء والحفظ، وحسن الفهم»[١].

قلت: تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وقد شهد له الجميع بالحفظ، وبالعلم حتىٰ نال الإمامة في الدين علىٰ صغر سنه.

ثم هو لم يحفظ القرآن في الصِّغر، كما يزعم أصحاب القول الجديد المُحدَث، فيا عجبًا!!

ثم لو سلَّمنا لكم جدلاً بأنه لم يكن حافظًا للقرآن في صغره، فلماذا لم يَحكم علىٰ جدِّه؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه مخالفٌ لهدي الصحابة، ومنهجهم، وقد حفظ القرآن دون العاشرة من عمره، وقبل أن يطلب العلم كما في ترجمته!!.

لماذا لم يَحكم عليه مادام يرىٰ فعله انحرافًا عن السنة، ومخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن هديهم، أم أنه يجامل، ويكيل بمكيالين، فيحكم علىٰ البعيد، ويترك القريب!!.

ثم أقول: هذه بعض تراجم السلف، وغيرها كثير، كلها تدل دلالةً واضحةً وصريحةً علىٰ أن حفظ القرآن في الصِّغر هديٌ سُنيٌّ سلفيٌّ، معروفٌ ومشهورٌ عند سلف هذه الأمة، فمَن قَبِلَها واقتنَع بها أراح واستراح، ومن لم يَقْبَلْهَا، ولم يَقتنِع بها، فليتتبَّع كتب العقائد، والتراجم، والسِّيَر، ولينظر كم سيضيع من عمره لكيْ يُخرِج من هذه الكتب والمصنفات كل ما يراه ضعيفًا، فينقذ الأمة من الضياع الذي ستتسبب به هذه الكتب والمصنفات!!.

---

(١) الدرر السنية (١٦ / ٣٧٥).

وأختم هذا الوجه بذكر شيء من أقوال أئمة السنة في هذا الباب:

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «ومعلوم أن القراءة في الصلاة ليس المقصود بها القراءة عند القبر، ومع هذا فالفرق بين ما يفعل ضمنًا وتبعًا، وما يفعل لأجل القبر، بُيِّنَ كما تقدم، والوقوف التي وقفها الناس علىٰ القراءة عند قبورهم، فيها من الفائدة أنها تُعين علىٰ حفظ القرآن، وأنها رزقٌ لحُفَّاظ القرآن، وباعثةٌ لهم علىٰ حفظه ودرسه وملازمته، وإنْ قُدِّرَ أنَّ القارئ لا يُثاب علىٰ قراءته فهو مما يُحفَظ به الدين، كما يُحفَظ بقراءة الفاجر، وجهاد الفاجر، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يُؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر**» »[1].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ: أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟.

فأجاب: «أما العلم الذي يجب علىٰ الإنسان عينًا كعلم ما أمر الله به وما نهىٰ الله عنه؛ فهو مُقدَّمٌ علىٰ حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مُقدَّمٌ علىٰ المستحب.

وأما طلب حفظ القرآن: فهو مُقدَّمٌ علىٰ كثيرٍ مما تُسمِّيه الناس علمًا: وهو إما باطلٌ أو قليل النفع.

وهو أيضًا مُقدَّمٌ في التعلم في حق من يُريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثيرٌ من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم؛ حيث يشتغل أحدهم بشيءٍ من فضول العلم من الكلام أو الجدال والخلاف أو الفروع النادرة أو التقليد الذي لا يحتاج إليه أو غرائب الحديث

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢ / ٢٦٥).

التي لا تثبت ولا ينتفع بها وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله، فلابد في مثل هذه المسألة من التفصيل، والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه هِمَّة حافظه؛ لم يكن من أهل العلم والدين[١]، والله سبحانه أعلم»[٢].

وقال: «قال الرافضي: «الثالث: أن الإمام يجب أن يكون حافظًا للشرع؛ لانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل الأحكام الجزئية الواقعة إلىٰ يوم القيامة، فلابد من إمام منصوب من الله تعالىٰ، معصوم من الزلل والخطأ، لئلا يترك بعض الأحكام، أو يزيد فيها عمدًا أو سهوًا، وغير عليٍّ لم يكن كذلك بالإجماع».

والجواب من وجوه:

أحدها: أنا لا نُسلِّم أنه يجب أن يكون حافظًا للشرع، بل يجب أن تكون الأمة حافظةً للشرع.

وحفظ الشرع يحصل بمجموع الأمة كما يحصل بالواحد، بل الشرع إذا نقله أهل التواتر كان خيرًا من أن ينقله واحدٌ منهم ...

إلىٰ أن قال:

الوجه الثامن: أن يُقال: لماذا لا يجوز أن تكون العصمة في الحفظ والبلاغ ثابتةً لكل طائفةٍ بحسب ما حملته من الشرع.

---

(١) والفرق واضحٌ جدًّا بين كلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحثه علىٰ فهم معاني القرآن والعمل به، دون أن يحصر الحفظ في هذه الطريقة فقط، ويُضلِّل من خالفها، وبين «مجموعة النهج - غير - الواضح»؛ التي حصرت الحفظ في هذه الطريقة فقط، وضَلَّلت من خالفها!!.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٣ / ٥٤).

فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدِّثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه، والفقهاء معصومون في فهم الكلام والاستدلال علىٰ الأحكام، وهذا هو الواقع المعلوم الذي أغنىٰ الله به عن واحدٍ معدوم»[١].

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ)**: «أنا مثلاً يومئذٍ كنت وأنا وراء الطاولة في الدكان، أضع المصحف، وأفتحه أمامي، وأحفظ بقدر ما أستطيع، مع أني لم أوتَ حافظةً تُذكَر، فكنت أحفظ ما شاء الله، لكن كل ما تعمَّقت بالعلم وبالحديث ما بقي عندي إلا الشيء القليل من الحفظ الذي كنت حفظته، أعني بهذا الكلام كله: أن حفظ القرآن يحتاج إذًا إلىٰ شيئين أساسيَّين:

الشيء الأول: الحافظة القوية.

الشيء الثاني: الفراغ، الفراغ الذي يُمكِّن الإنسان من أن يحفظ، كما ضرب مثال أبو عدنان الله يجزيه الخير بنفسه، ومثال بسيط من طرفي أنا، وما استمررت علىٰ ذلك - مع الأسف -[٢]، لذلك ما نستطيع أن نقول لكل إنسان: احفظ لك

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٤٥٧ - ٤٦١).

(٢) الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحسَّر علىٰ عدم استمراره في حفظ القرآن، وأتباع «النهج - غير - الواضح» يتحسَّرون علىٰ حفظهم له، وعلىٰ تحفيظه الصغار وغيرهم، كما هو ثابتٌ عنهم، وقد قال قائلهم:

«أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن، وهنا وقفة، كيف ولِمَ لا تحفظ كثيرًا؛ ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن، نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم؛ وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل، وخير الهدي هدي نبينا وأصحابه»اهـ.

وقال الآخر مؤيِّدًا قول الأول: «لخَّصت بهذا الأثر ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، ويُصدِّق ما تفضَّلت فيه أن ابن عمر وبإسناد صحيح حفظ البقرة بأربع سنين، «وأنا حفظتها بأربع أيام»؛ هكذا كانوا يُعلِّموننا «للأسف»، احفظ ثم بعدها تتعلم، فبالأول نجمع المتون وأولها القرآن ...»اهـ بتعديل بعض ما نطق به بالعامية.

مائتين آية، هذا ليس مُيسَّر إلا للقليل، فهنيئًا لحَفَظَة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن بشرط أن يكون القصد من وراء ذلك هو ابتغاء وجه الله، وإلا ذهبت أتعابهم هباءً منثورًا»[(١)].

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بالنسبة لطلب العلم إذا بدأ الإنسان طلب العلم في سِنٍّ متأخرة يعني كالثامنة عشر، فهل الأفضل له أن يُتم حفظ القرآن ثم يبدأ بالعلوم الأخرىٰ؛ بالذات علوم الآلة أم ماذا؟ نرجو التفصيل؟.

فأجاب: «إذا كان المقصود بطلب العلم هو العلم الكفائي؛ يعني: هو حصَّل من العلم ما يُصحِّح به عقيدته، ويُصحِّح عبادته، وسلوكه، ولكنه لم يتوسَّع في ذلك، فهو يُريد أن يتوسَّع، أي: أن يقوم بالعلم الذي هو فرضٌ كفائيٌّ وليس بفرضٍ عيني، حينئذ نقول: له الخيرة في أن يستمر في حفظ القرآن؛ لأنه فرضٌ كفائيٌّ أيضًا، وبين أن يطلب العلم ولو كان تأخَّر كما ذكرت في السؤال بطلب العلم، وإنما علىٰ مثل هذا أن يُلاحظ استعداده الفطري، فَرُبَّ أشخاصٍ من الطلاب استعدادهم الفطري الحفظ، وليس استعدادهم الفطري الفهم للأحكام الشرعية، وضبطها أيضًا وحفظها، فإذن بالشرط الذي سبق بيانه وهو: إن كان قد حصَّل الفرض العيني من العلم فهو مُخيَّرٌ بين أن يطلب العلم ولو علىٰ سِنٍّ متأخر أو أن يستمر في حفظه للقرآن والعناية به»[(٢)].

وسئل: عندنا من أهل العلم من يوجب حفظ القرآن خاصةً في هذا الزمان؛ لقلة حملته، ويصفون من لم يسلك ذلك بالضلال، وخاصة من كان من طلاب الحديث؟.

فأجاب: الأجوبة كلها متماثلة، هذا فرض كفائي وليس بفرضٍ عيني، لكن

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٢٦٥).

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٧٢٩).

علىٰ من كان طالبًا للحديث؛ فأُوتِي حافظةً قويةً، فجمع بين حفظ القرآن وحفظ ما تيسَّر من الحديث؛ هذا بلا شك نورٌ علىٰ نور، لكن لا يُقال بأن من لا يفعل ذلك يكون في ضلال؛ لأنه يوجد كثيرٌ من الناس لا يحفظون من القرآن إلا ما تصح به صلاتهم، مثلاً الفاتحة، ولا يحفظون شيئًا من أحاديث الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ إطلاقًا، فلا يجوز شرعًا أن يوصف هؤلاء بالضلال، لأن هؤلاء لا يجب عليهم فرضًا عينيًّا ليكونوا من حُفَّاظ القرآن، ولا علىٰ غيرهم، وإنما بلا شك يجب أن يكون في المسلمين حُفَّاظٌ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ عن ظهر قلب، كما أنه يجب أن يكون في المسلمين علماءٌ للحديث، وكذلك يُقال في سائر العلوم حتىٰ العلوم غير الشرعية؛ كالطب مثلاً والفيزياء والكيمياء ونحو ذلك، لأن كل هذه العلوم تساعد المسلمين وتساعد دعوتهم، لكن هذا ليس كما شرحنا من قبل فرض عين؛ كما يجب علىٰ المسلم أن يتعلم كيف يُصلي مثلاً، كيف يتطهَّر، كيف يتوضَّأ؟ فكل هذه الأسئلة في الحقيقة نابعةٌ من مَعِينٍ واحد، لكن السؤال الأخير فيه انحرافٌ خطيرٌ فيما يحكيه عن بعضهم أنه يقول: يجب علىٰ طالب علم الحديث أن يحفظ القرآن، وإلا يكون في ضلال، هذا القول هو الضلال، وهو الجهل بعينه[(١)]، ومعناه عدم التفريق بين الفرض الكفائي وبين الفرض العيني»[(٢)].

وسئل: هل يجب علىٰ طالب العلم الشرعي حفظ القرآن؟.

فأجاب: هذا من الأمور الكفائية؛ التي إذا قام به البعض سقط عن الباقين،

---

(١) كما أن القول بتضليل من يقرأ القرآن أو يحفظه دون أن يجمع بينه وبين فهمه وتفسيره، وإخراجه عن هدي الصحابة، وعن جماعتهم، هو الضلال، وهو الجهل بعينه.

(٢) متفرقات للألباني، الشريط رقم: (٦٦).

أما الفضل فحدِّث ولا حرج، لكن الحكم: لا يجب على كل مسلم؛ لعدم وجود الدليل الموجب لحفظ القرآن على كل فردٍ من أفراد المسلمين»[١].

وسئل: يسأل بعض الناس، فيقول: ماذا ينصح الشيخ حفظه الله طالب العلم في بداية طلبه، هل يحثه على حفظ وإتقان القرآن الكريم، أم على معرفة السنن والبدع وطلب العلم الشرعي، وصحة الأحاديث وضعفها؟ وما هو الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، معرفة القرآن أم الحديث؟ يعني في بداية طلبهم؟.

فأجاب: «هذا السؤال يتكرَّر عن كثيرٍ من الشباب، لا يمكن إعطاء جواب موحد أو جامد لكل الشباب، هذا السائل مثلاً، أنا أقول له: إن كنت أوتيت حفظًا يساعدك على أن تحفظ القرآن، فينبغي أن تحفظ القرآن، لكن من حيث معرفتنا بواقع الناس، هل كل الناس يُعطَون حفظًا سمحًا، عندهم استطاعة للحفظ بسرعة، وضبط هذا الحفظ، وإبقاؤه في أذهانهم أمدًا طويلاً، أنا في ظني أن هذا شيءٌ نادرٌ، نادرٌ جدًّا، فإذا كان السائل يشعر بنفسه أنه أُوتِي حافظةً قويةً، فليُعنَىٰ بحفظ القرآن، ولا ينبغي أن تكون عنايته هذه مجرد حفظ، بل عليه أن يدرس القرآن على شيخ عالم مقرئ مجوِّد، فيحضر عنده شهورًا، وربما سنين، حتى يُتقن قراءة القرآن كما ينبغي، وفي هذه الأثناء إذا شغل نفسه بحفظ القرآن، فهو يكون نورٌ على نور، أما أن يحفظ فقط للحفظ، ثم إذا هو تلا؛ لا يُحسن تلاوة القرآن كما أُنزِل، فهذا الحفظ يكون وبالاً عليه، فإذن: حفظ القرآن الذي ننشده ونعنيه؛ هو أن يحفظ كما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا لا يكون إلا بأن يقرأ هذا

---

(١) الفتاوى الإماراتية، الشريط رقم: (٤).

الطالب، يختم القرآن علىٰ عالم مقرئ جيد»[1].

وسئل: هل يجوز لرجل أن يَؤُم الناس في صلاة التراويح وهو يقرأ من المصحف؟.

فأجاب: «هذه مسألةٌ اختلف فيها العلماء منذ القديم، منهم من أجاز ذلك، ومنهم من كرهه، أنا أضع نفسي مع الذين كرهوا لسببين اثنين:

السبب الأول: أنه لم يكن من عمل السلف، السلف الصالح ما كانوا يقرؤون في صلاة التراويح يَؤُمُّون الناس والمصاحف بأيديهم، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا، لماذا؟

انظر للنتائج كيف تختلف، لأن أئمتهم ما كانوا مثل أئمتنا، أئمتهم كانوا علماء، كانوا حُفَّاظًا لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، اليوم أكثر أئمتنا مُحوِّشين ولا مؤاخذة تحويش؛ لأنه صارت الإمامة وظيفة كأي وظيفة من وظائف الدولة، المفروض في الإمام أن يحفظ قسمًا كبيرًا، إذا ما قلنا يحفظ القرآن كله من أوله إلىٰ آخره، فأن يحفظ قسمًا كبيرًا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يَؤُم الناس، ولا يملوا قراءته؛ لأن الإنسان طبيعته الملل، ولو كان يسمع كلام الله، فهو يَمل، لكن لو ينوع الإمام، كل كم يوم يسمع له آية جديدة؟ خاصة إذا وضع ذهنه فيما يتلو الإمام تصير الفائدة مزدوجة.

فالأمر الأول إذًا هو لأن السلف الصالح، ما كانوا يَؤُمُّون الناس والمصاحف في أيديهم.

والسبب الثاني: فُهِم ضمنًا، أننا إذا فتحنا باب تجويز إمامة الأئمة للناس من المصحف صرفنا الأئمة عن العناية بحفظ القرآن.

علمًا بأن القرآن حفظه ليس بالأمر السهل، وقد أشار الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٦٧).

هذا الأمر، بقوله: «اقرءوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها»، أنتم معشر العرب تعرفون هذا الكلام الذي يقوله الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ أشد تفلتًا من الإبل من عُقُلِها، هكذا القرآن يتفلَّت من صدر الحافظ إلا مادام عليه قائمًا بالحفظ، الناس اليوم يَطلبون الراحة وأنت لَمَّا تقول للناس اقرءوا من المصحف أرَحْتَهُم، وليس هذا من مقاصد الشريعة، المقاصد هي أنك تَحُضُّهم علىٰ العناية بالقرآن، كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**اقرءوا هذا القرآن**»، مفهوم «**وتغنَّوا به**» ...»[1].

وسئل: ألحَظُ أيضًا مما ألحَظُه مع هذه الصحوة الطيبة والإقبال علىٰ العلم أن نسبة الإقبال علىٰ حفظ كتاب الله وبالذات تفسيره؛ دروسٌ قليلةٌ جدًّا إن لم تكن معدومة، فما رأيكم؟.

فأجاب: «هذا ما قلته أنا في بعض الجلسات، يا جماعة خلينا نشوف واحد منكم يحفظ القرآن، حتىٰ أنا مثلاً إذا احتجت إلىٰ آية وأنا لا أستطيع أن أستحضرها؛ فأنا أستعين ببعضكم، لا يوجد من يحفظ القرآن إلا ما ندر جدًّا، والسبب هو كله يدور إلىٰ أن طلب العلم اليوم ليس خالصًا لوجه الله»[2].

وسئل: هل يجوز أن يمسك القرآن الكريم في الصلاة المكتوبة، يعني يقرأ حاضرًا؟.

فأجاب: «أما في المكتوبة فأمرٌ ما أظن أن أحدًا يقول بشرعيَّته، وإنما الخلاف المعروف إنما هو في النافلة، بل وليس في كل نافلة، وإنما في قيام الليل،

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٣٠).

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٥٩٩).

بل وليس في كل قيامٍ من الليل، وإنما هو في قيام الليل خاصة في رمضان.

الخلاف في هذا الموطن فقط، فمنهم من يرىٰ ذلك ويُجيزه، وبخاصة إذا كان الإمام لا يحفظ كثيرًا من القرآن، ومنهم من لا يرىٰ شرعيَّة ذلك، وأنا مع هؤلاء لسببين اثنين:

السبب الأول: أنه لم يكن معروفًا في عهد السلف، وأنا أعني ما أقول حينما أقول لم يكن معروفًا في عهد السلف، أي كظاهرةٍ دينيةٍ اجتماعيةٍ، فلا يَعترِضَنَّ أحدٌ بقوله أن هناك روايةً أن عبدًا لعائشة رضي الله تعالىٰ عنها كان يَؤُمُّها من المصحف، فإن هذه روايةٌ مع صِحَّتِها لا تُخالف ما قُلتُه لكم آنفًا، لأن كون الشيء يقع في مكانٍ محصورٍ بين جدرانٍ أربعة، وبين شيءٍ يُعلَن علىٰ الملأ جميعًا ثم لا أحد يُنكر ذلك، فهذا الذي نقوله وندخله في عموم قولنا آنفًا: وكل خير في اتباع من سلف، أي: إذا كان هناك عملٌ اشتهر فِعله بين السلف، دون أن يكون بينهم أيُّ خلافٍ، فهذا نحن نتَّبِعه، ونُسلِّم له، أما في مثل ما نحن في صدده الآن أن السيدة عائشة كان يَؤُمُّها عبدها من المصحف المفتوح بين يديه، فهذه قضيةٌ خاصةٌ قد تكون لها أسبابها وملابساتها.

هذا هو السبب الأول: خلاصته أنه لم يكن معروفًا في عهد السلف كما هو المعروف اليوم في عهد الخلف، ففي كثيرٍ من المساجد، في كثيرٍ من البلاد، تجدون الإمام قد وضع المصحف في مثل هذه الطاولة وهو يقرأ منه، هذه ظاهرةٌ لم تكن إطلاقًا فيما مضىٰ من السلف الصالح، لذلك هنا نحن نقول: وكل خيرٍ في اتباع من سلف، هذا هو الأمر الأول.

الأمر الآخر: أن القول بجواز هذا العمل فضلاً عن القول بشرعيَّته يلزم منه

معاكسة أو علىٰ الأقل مخالفة توجيهات نبوية كريمة، وهي تدور كلها حول الحض للمسلم الذي يعتني بإمامة الناس، والإمامة تستلزم أن يكون متميزًا في حفظه للقرآن؛ لأن ذلك هو السبب الأول الذي يجعل للحافظ حق الأولوية في إمامة الناس، كما جاء في صحيح مسلم: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرةً فإن كانوا في الهجرة سواء، فأكبرهم سِنًّا**».

إذًا المرتبة الأولىٰ التي بها يستحق المتَّصِف بهاالإمامية هو حفظ القرآن.

فهذا الحفظ لكيْ لا يَفلت ولا يذهب من الحافظ ما تعب علىٰ حفظه برهةً من الزمان قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تعاهدوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**»؛ تعاهدوا هذا القرآن.

ففتح باب تجويز القراءة من الإمام من المصحف يَصرفه كما يقال اليوم أوتوماتيكيًّا عن تنفيذ الأمر النبوي: «**تعاهدوا هذا القرآن**»؛ لماذا يتعاهد؟ وها هم العلماء يُجيزون له أن يقرأ من القرآن المفتوح بين يديه، هذا أمرٌ لابد منه، أي: فتح باب القول بجواز القراءة من المصحف من الإمام؛ من آثاره السيئة عدم الاهتمام بحفظ القرآن ...»[1].

وقال: «فالنبي ﷺ كان حريصًا بالمسلمين أن يهتموا بحفظ القرآن، وأن يتغنَّوا به، حتىٰ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا**»، وقال في حديث آخر: «**تعاهدوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**»، فأصبح الشباب المسلم اليوم ينصرف عن

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٦١٨).

تعاهد القرآن، وعن التَّغَنِّي به، كما أمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إلىٰ التَّغَنِّي بالأناشيد المُسمَّاة بغير اسمها: أناشيد دينية، أناشيد إسلامية، والحقيقة أنني أرىٰ في العصر الحاضر أن من مكر الشيطان بكثيرٍ من المسلمين أنه يصرفهم عن المشروع بغير المشروع بأسماء برَّاقة، وأكثر الناس كما قال رب العالمين لا يعلمون»[1].

والأقوال في هذا الباب أكثر من أن تُحصَر، وفيما ذكرته كفاية لمن أراد الله هدايته، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

ومن أعجب ما رأيت حقيقةً فيما أثاره القائلون بأن حفظ القرآن علىٰ خلاف الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالفٌ لهدي السلف، ما يأتي:

الأمر الأول: الاستدلال بحديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ هذا القول.

وفيه: «قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: أَيُّكُم يُحِبُّ أن يَغدُوَ كلَّ يومٍ إلىٰ بُطْحَانَ أو إلىٰ العَقِيق فيَأتِيَ منه بناقَتَين كَوْمَاوَيْنِ[2] في غيرِ إثمٍ ولا قَطْعِ رَحِمٍ. فقلنا يا رسول الله نُحِبُّ ذلك. قال: أفلا يَغدُو أحدُكُم إلىٰ المسجد فيَعْلَمُ أو يَقرأُ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خيرٌ له من ناقَتَين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل».

قلت: وهذا الحديث حجةٌ علىٰ قائله، ومُبطِلٌ لقوله، يُدرك ذلك كل من تدبَّره، فتعلَّم آيةً خيرٌ له من ناقةٍ، وتعلَّم آيتَين خيرٌ له من ناقتين، وعشرَ آياتٍ خيرٌ له من عشرٍ، ومائةَ آيةٍ خيرٌ له من مائةٍ، وألفَ آيةٍ خيرٌ له من ألفٍ، ومن أعدادهن من الإبل.

فمع وضوح معناه، هذا ما يذكره الشراح أيضًا.

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٠٦٩).

(٢) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

قال العلامة محمود محمد خطاب السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٥٢هـ):**

«**(قوله وإنْ ثَلاثٌ فثَلاثٌ إلخ) أي**: وإن كان الذي يتعلمه ثلاث آيات فهن خيرٌ من النوق الثلاث، وفي رواية مسلم وأربع خيرٌ من أربع، ومثل أعدادهن مثل أعدادهن من الإبل، أي: وسائر الأعداد من الآيات خيرٌ من مثل أعدادهن من الإبل، ويحتمل أن يكون المعنىٰ أن آيتين خيرٌ من ناقتين ومن أعدادهما من الإبل، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاثٍ ومن أعدادهن من الإبل، وكذا أربع، والحاصل أن الآيات تفضل علىٰ أعدادهن من النوق ومن أعدادهن من الإبل، وهذا من باب التمثيل والتقريب وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن تقابل بمعرفة شيء من كتاب الله تعالىٰ، وفي هذا كله الترغيب في تعلم القرآن»[1].

الأمر الثاني: الاستدلال بحديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا علىٰ هذا القول.

وفيه: «قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن».

قلت: وهذا الحديث أيضًا حجةٌ علىٰ قائله، ومُبطِلٌ لقوله، وذلك أن فيه: «لا أقرأ كثيرًا من القرآن»، لا أنها لا تقرأ شيئًا منه، وذلك يعني: أن أصل الحفظ موجودٌ عندها، فهي تحفظ من القرآن ما تحفظ، كما هو حال كثيرٍ من الصحابة، كما مرَّ معنا من قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين قال: «وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر».

هذا كان حال الصحابة، ومنهم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

فكونها حفظت من القرآن ولو قليلاً، ولم تكتفِ بحفظ ما هو واجبٌ وفرضُ عينٍ عليها، مما يَصح به صلاتها، لخير دليل علىٰ أنها قد تعدَّت ما هو واجبٌ

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود (٨/ ١٠٣).

عليها، إلىٰ ما هو فرض كفاية، وما هو من المستحبات، وهذا وحده يكفي لأن نُثبت الحفظ، وأنه هديٌ سنيٌّ سلفيٌّ، لا أن ننفيه بالكلية!!.

ثم: مَن مِن العلماء قد سبقكم إلىٰ هذا الفهم، وخرج من هذا الحديث بمثل ما خرجتم به علينا؟!!، وأنه لا يجوز للمسلم أن يحفظ شيئًا من القرآن إلا علىٰ هذه الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم!!.

وقد قال شُراح الحديث: «لا أقرأ كثيرًا من القرآن»: وهذا توطئةٌ لعذرها في عدم استحضارها اسم يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فالأمر مختلفٌ تمامًا عمَّا يُستنبَط ويُقرَّر لخدمة هذا الهدي الجديد المُحدَث في حفظ القرآن.

الأمر الثالث: وهو والله الطامة الكبرىٰ، فمن كان يتصوَّر أن يَصل الحال ببعض السلفيين لأنْ يتحسَّروا علىٰ حفظهم القرآن، أو تحفيظه أولادهم، أو أهل قريتهم، أو غير ذلك، بدعوىٰ أن حفظه علىٰ غير طريقة أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالفٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

حتىٰ قال قائلهم متحسِّرًا: «أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن.

وهنا وقفة: كيف ولم لا تحفظ كثيرًا ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن.

نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل وخير الهدي هدي

نبينا وأصحابه»اهـ.

ورحم الله الإمام الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، فقد مرَّ معنا قوله وهو يتحسَّر علىٰ عدم حفظه القرآن، حيث قال:

«أنا مثلاً يومئذٍ كنت وأنا وراء الطاولة في الدكان، أضع المصحف، وأفتحه أمامي، وأحفظ بقدر ما أستطيع، مع أني لم أوتَ حافظة تُذكر، فكنت أحفظ ما شاء الله ... وما استمررت علىٰ ذلك، مع الأسف»(١).

وفي ختام هذه الرسالة لا أزيد علىٰ أن أقول: هذا هدي النبي ﷺ في حفظ القرآن، وهذا هدي أصحابه رضي الله عنهم، وهذا هدي السلف الصالح إلىٰ يومنا هذا، وهم قدوتنا، فمن قبله فالحمد لله، ونسأل الله لنا وله التوفيق والسداد، ومن لم يَقبله، فلا يسعنا إلا أن ندعو له بالهداية والرشاد، وأن نقول له:

أما نحن فقد ذكرنا قدوتنا، ومن هم معنا فيما نقول ونقرر، وأما أنتم فمن هم قدوتكم؟! إذ لم نجد لكم قدوةً إلا ما وجدناه عمَّن هو بعيدٌ كل البعد عن السنة وأهلها، وما أكثرهم، وأقوالهم منشورة علىٰ شبكة الإنترنت، من السهل الوصول إليها، فمن قائل: «تحفيظ القرآن ليس عبادة»، ومن قائل: «عدد الصحابة كان ١٢٤ ألف، فما عدد من كان يحفظ القرآن كاملاً منهم؟»، ومن قائل: «تحفيظ القرآن للصغار بلية ومصيبة!»، وغير هذه الضلالات كثير!!، كفىٰ الله المسلمين شرها، وشر أهلها.

ومثل هؤلاء؛ فلسنا ممن يَرفع بهم ولا بأفكارهم وتقريراتهم ومناهجهم رأسًا، فإن وجدتم في السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن الأئمة

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٢٦٥).

السلفيين المتبوعين، من قال في قراءة القرآن وفي حفظه بمثل قول هؤلاء، ومن فهم المسألة بمثل ما فهموها، وصرح بمثل ما صرَّحوا به، فَسَمُّوهم لنا، وهيهات هيهات!!.

ألا وليعلم كل من وقف علىٰ رسالتي هذه أني لم أكتبها لا نصرًا لفلان من الناس، ولا نكاية في فلان من الناس، وإنما كتبتها نصرةً لدين الله عَزَّوَجَلَّ، ولسنة النبي ﷺ، وأسأل الله العلي القدير أن يتقبَّلها مني، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأذكر نفسي وإياكم بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

هذا آخر ما قصدت إليه في هذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان وسار علىٰ دربهم واقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم الدين.

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

وتم الانتهاء منه سوى الحواشي وبعض الإصلاحات

يوم الأحد ٢٨ ذو القعدة ١٤٤١هـ

الموافق: ١٩ / ٧ / ٢٠٢٠ م

